جمهورية العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج

المطالعة

للصف الخامس الإعدادي

تأليف

د. كريم عبيد الوائلي — علي عبدالحسين مخيف

د.عبدالعباس عبدالجاسم أحمد — تركي عبدالغفور الراوي

الطبعة الثالثة — ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م

المشرف العلمي على الطبع : علي مصطفى إبراهيم

المشرف الفنـــي على الطبع :علي مصطفى كمال رفيق

www.iraqicurricula.org

الموقع الرسمي للمديرية العامة للمناهج

على شبكة الانترنت

المركز التقني لأعمال ما قبل الطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقـدّمة

يتضمنُ هذا الكتاب عرضاً لاقتباس من التنزيل العزيز لبيان الإعجاز في إيجاز آياته، لحق به الحديث الشريف وألوان من الفنون الشعرية والنثرية ، تعقبها أسطر من التحليل والتعليق على النصوص والمقالات والأبحاث ، وعرضها للمناقشة بعد أن نؤول بمحتواها لاستثماره في نشاط التعبير الحر والتحرير الكتابي ، حتى يأخذ الطلبة فيها دورهم لاستثمار ما اطّلعوا عليه في بناء الأسلوب الأدبي، وقد توزعت هذه المقطّعات الشعرية والنثرية على صفحات الكتاب بشكل نتوخى منه تحقيق أهداف هذه المرحلة التي تتمثل فيما يأتي:

١- ترسيخ المهارات اللغوية الأساسية لدى الطلبة في فنون اللغة ، قراءة وكتابة واستماعاً وتحدثاً .

٢- تنمية قدرة الطلبةعلى الطلاقة والتلقائية ، واكتساب مهارات التحدث والتعبير عن خواطره وعواطفه ، بأساليب الإبداع ، للتخلص من الإزدواجية في اللغة، بحيث تكون اللغة العربية هي المستخدمة في البيت والمدرسة بوصفها اللغة الوطنية والقومية والدينية .

٣- العمل على تقوية علاقة الطلبة بمضامين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأساليبهما بوصفهما أرقى مراتب الكلام في اللغة العربية ، وتنمية شعور الولاء والحب لها، وتكوين اتجاه إيجابي نحو القراءة في التراث العربي الإسلامي، والتأكيد على إكتساب المهارات الأساسية للتعليم الذاتي ، وتنمية ميول الطلبة القرائية لتثقيف أنفسهم، وبناء شخصيتهم وتوسيع دائرة معارفهم .

٤- تنمية روح التآلف الاجتماعي لدى الطلبة من خلال مواقف تمكنهم من التعبير عن أنفسهم، وعن حاجات مجتمعهم ، وتلبية متطلبات العصر ، وتحمل المسؤولية بإبراز مواهبهم.

٥- دعم الاتجاهات والمشاعر الإيجابية عند الطلبة نحو أبناء وطنهم بأقلياته وأديانه ومذاهبه كافة ، على أساس أن العراق وطن الجميع ، وأن الانتماء إلى الوطن فوق كل الانتماءات ، وتمتين الروابط المختلفة بين أبناء الشعب ، وقبول الرأي الآخر ، وتنمية روح الأخوة مع أبناء الأمة العربية ، لأن العراق جزء من الوطن العربي ، ومع الدول الإسلامية، والتمسك بعلاقات حسن الجوار ، ومع الشعوب المحبة للحرية والديمقراطية والسلام ، طبقاً لما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [١]

٦- إكساب الطلبة القدرة على التفكير المنظم ، وتنمية مهاراتهم في التصنيف والترتيب، ومهارات النقد والتحليل ، وإصدار الأحكام ، والإحساس بالخطأ الفكري أو اللغوي وعلاجه .

٧- تدريب الطلبة على القراءة الجهرية بأداء حسن ، وتنغيم الصوت حسب المعنى والوقف عند مقتضى الحال، لضمان استقامة اللسان وصحة البيان.

إن العبرة ليس في اقتناء الكتاب ، بل في كيفية استعماله وإدراك وظيفته واستثمار محتوياته والانتفاع به. والله نسأل أن يوفق زملاءنا وطلبتنا لما في هذا الكتاب من خير.

ومنه العون والتوفيق.

المؤلفون

---

[١] الحجرات / ١٣ .

إعجاز الإيجاز في القرآن الكريم

أبو الحسن الرماني*

الإيجازُ تقليلُ الكلامِ من غير إخلالٍ بالمعنى . وإذا كان المعنى يمكنُ أنْ يعبرَ عنه بألفاظٍ كثيرةٍ ، ويمكنُ أنْ يعبرَ عنه بألفاظٍ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز ، والإيجاز على وجهين.حذف وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء منها ، بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام ، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف ، فمن الحذف قوله تعالى (واسأل القرية) ومنه (ولكن البر من اتقى) ومنه(براءة من الله) ومنه (طاعة وقول معروف) ومنه حذف الأجوبة ، وهو أبلغ من ذكرها وما جاء منه في القرآن كثير كقوله جلَّ ثناؤه :((ولو أن قرآنا سُيِّرتْ به الجبال أو قُطِعَت به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى)) كأنه قيل : لكان هذا القرآن ومنه قوله تعالى: ((وسيق الذين اتقوا رَبهم إلى الجنةِ زُمَراً حتى إذا جاءوها وفُتحت أبوابها) كأنه قيل : حصلوا على النعيم المقيم الذي لايشوبه التنغيص والتكدير ، وإنما صارَ الحذفُ في مثل هذا أبلغ من الذكر لأنّ النفسَ تذهبُ فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان ، فحذف الجواب في قولك لو رأيت علياً بين الصفين ، أبلغ من الذكر لما بيناه.

وأما الإيجازُ بالقْصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف وإن كان الحذف غامضاً، للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح

---

* هو علي بن عبدالله أبو الحسن الرماني الاخشيدي لقب (الوراق) لقيامه بأعمال الوراقة وهو من المعتزلة . ولد سنة ٢٩٦هـ ببغداد وأصله من سامراء . شغل منذ صغره بطلب العلم، وله مجموعة مؤلفات تقرب من مئة كتاب معظمها في علم النحو ، أسس مكتبة باسم المكتبة التيمورية ، ومن كتب النحو : شرح كتابي المدخل والمقتضب للمبرد، وشرح كتاب سيبويه ، ونكت سيبويه ، وشرح مختصر الجرمي ، وأسلوبه بمزج النحو بالمنطق ، وأهم مؤلفاته : (النكت في إعجاز القرآن ، والجامع في علوم القرآن ، والألفاظ المتقاربة والمترادفة في المعنى ، وشرح معاني القرآن للزجاجي) ، توفي سنة ٣٨٤هـ في بغداد .

فمن ذلك قولــــه تعـــالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] ومنه ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾[2]ومنه﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾[3] ومنه ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[4] ومنه ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[5] ومنه ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[6].

وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن الكريم كثيرٌ ، وقد استحسنَ الناس من الإيجاز قولهم: القتلُ انفى للقتل ، وبينه وبين لفظ القرآن الكريم تفاوت في البلاغة والإيجاز، وذلك يظهر من أربعة أوجه : أنه أكثر في الفائدة ، وأوجز في العبارة وابعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة ، أما الكثرة في الفائدة ففيه كل ما في قولهم : القتل انفى للقتل ، وزيادة معاني حسنه ، منها إبانة العدل لذكره القصاص ، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به ، وأما الإيجاز في العبارة فإن الذي هو نظير - القتل انفى للقتل - قوله (القصاص حياة) والأول أربعة عشر حرفاً ، والثاني عشرة أحرف، وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة ، فإن في قولهم: (القتل انفى للقتل) تكريراً غيره ابلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة من أعلى طبقة ، وأما الحس بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام ، فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن ، وإن كان الأول بليغاً حسناً .

---

(1) البقرة / ١٧٩ — (2) المنافقون / ٤ — (3) الفتح / ٢١

(4) النجم / ٢٣ — (5) يونس / ٢٣ — (6) فاطر / ٤٣

وظهور الإعجاز في الوجوه التي نبينها يكون باجتماع أمر يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة ، وإن كان قد يلتبس فيما قَلَّ بما حسن جداً لإيجازه وحسن رونقه وعذوبة لفظه وصحة معناه كقول علي (عليه السلام): (قيمة كل امرئ ما يحسن) . فهذا كلام عجيب يعني ظهور حسنه عن وصفه . فمثل هذه الشذرات لايظهر بها حكم ، فإذا انتظم الكلام حتى يكون كأقصر سورة أو أطول آية ظهر حكم الإعجاز ، كما وقع التحدي في قوله تعالى ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[1] فبان الإعجاز عند ظهور مقدار السورة من القرآن الكريم.

والإيجاز بلاغة والتقصير عيي ، كما إنّ الإطناب بلاغة والتطويل عيي والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير ، لأنه لابد فيه من الإخلال ، فأما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به . في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل ، فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعاً يكون به أولى من الآخر ، لأن الحاجة إليه أشد ، والاهتمام به أعظم ، فأما التطويل فعيب وعيي ، لأنه تكلّف فيه الكثير فيما يكفي منه القليل ، فكان كالسالك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب ، وأما الإطناب فليس كذلك لأنه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة ، فيحصل في الطريق إلى غرضه من الفائدة على نحو من يحصل له بالغرض المطلوب .

والإيجاز على وجهين : أحدهما إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة ، والآخر إحضار المعنى بأقل مايمكن من العبارة ، والوجه الأول يكون كثيراً في العلوم القياسية وذلك انّه إذا فهم شرح الجملة كفي بعد ذلك حفظ النكتة ، لأنها تكون حينئذ دالة عليها ومغنية عن التعليق بها في نفسها ، لتعلق النكتة بها، فهذا الضرب من الإيجاز لا يكون إلا بعد أحوال متقررة من الفهم لشرح الجملة فحينئذٍ تكون النكتة مغنية ، وأما الوجه الآخر فمستأنف لم يقرر له حالة خاصة يكون جاراً لها من حيث تعلق بها من فهم كيف وجه التعليق فيهما .

والإيجاز على ثلاثة أوجه : الإيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد ، وإيجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب ، وإيجاز بإظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح، لأن ما يستقبح ثقيل على النفس ، فقد يكون للمعنى طريقان أحدهما أقرب من الآخر كقولك: (تحرك حركة سريعة - في موضع أسرِعْ) ، وقد يكتنف الغرض شعب كثيرة كالتشعب قبل المدح ، وكالصفات لما يعترض الكلام مما ليس عليه

---

[1] البقرة / ٢٣.

الاعتماد ، وإذا ظهرت الفائدة بما يستحسن فهو إيجاز لخفته على النفس .

وإذا عرفت الإيجاز ومراتبه ، تأملت ما جاء في القرآن الكريم منه ، عرفت فضيلته على سائر الكلام ، وهو علوه على غيره من سائر الكلام ، وعلوه على غيره من أنواع البيان ، والإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان ، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن ، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، والإيجاز والإكثار إنما هما في المعنى الواحد .

المناقشة

١- ما معنى الإيجاز في القرآن الكريم ؟ هات أمثلة على الحذف والقصر .

٢- استحسن الناس قولهم : (القتل أنفى للقتل) بين التفاوت في البلاغة والإيجاز بين هذا القول ، وقول الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] البقرة / ١٧٩.

٣- يقول الكاتب : (فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعاً يكون به أولى من الآخر ، لأن الحاجة إليه أشد ، والاهتمام به أعظم) . أوضح ذلك.

٤- ما معنى التطويل بالكلام والإطناب فيه ؟ وأيهما أفضل ؟

٥- الإيجاز على ثلاثة أوجه ، بينها .

٦- قد يكون للمعنى طريقان أحدهما أقرب من الآخر كقولك : (أسرِعْ) بدلاً من قولك : (تحرك حركة سريعة) ، بين أوجه المفاضلة بين القولين .

التعبير

يقول عامة الناس : أمشِ شهراً ، ولا تعبرْ نهراً . يعني وجود طريقين أحدهما قصير صعب وآخر طويل سهل للوصول . بين أيهما تختار ؟ وما مبررات ذلك ؟

من الحديث الشريف

لِـمَنِ الدُّنيا ؟

عن أبي كبشَةَ عمرو بن سعيدٍ الأنماري (رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ) أنّه سَمِعَ رسولَ الله (ﷺ) يقول:

(ثلاثةٌ أُقسِم عليهن ؛ ....

وأُحدّثكم حديثاً فاحفظوه : مانقصَ مالُ عبدٍ من صدَقَةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبر عليها ، إلا زادهُ اللهُ عِزّاً ، أو كلمةً نحوها .

وأُحدّثكم حديثاً فاحفظوهُ ، قال :

إنّما الدُّنيا لأربَعَةِ نَفَر ، عبدٌ رَزَقَهُ اللهُ مالاً وعِلْماً فهو يَتّقي فيهِ رَبَّهُ ، ويصِلُ فيهِ رَحمَهُ ، ويعلَمُ للهِ فيهِ حَقٌّ . فهذا بأفضلِ المنازل ، وعبدٌ رزقه الله علماً ولم يرزُقْهُ مالاً ، فهو صادقُ النِّيّة ، يقول : لو أنّ لي مالاً لَعمِلْتُ بعملِ فلان ، فهو نيّتهُ ، فأجرُهما سواء ، وعبدٌ رزَقَهُ الله مالاً ، ولم يرزُقْهُ عِلْماً ، فهو يخبُطُ في مالهِ بِغَيْرِ علم ، لايَتّقي فيه رَبَّهُ، ولا يَصِلُ فيه رحمَه ، ولايعلمُ لله فيهِ حقاً ، فهذا بأخبَثِ المنازِلِ ، وعبدٌ لم يرزُقْهُ اللهُ مالاً ولا عِلْماً ، فهو يقول : لو أنّ لي مالاً لعملْتُ فيهِ بعمل فلان ، فهونيّتهُ فوِزرُهما سواء) [١].

معاني المفردات

صدقة	ما يتصدق به على الفقراء .
يتقي فيه ربه	يصرفه في مرضاة الله فيتجنب غضبه .
يصل فيه رحمه	يساعد به ذوي القربى من المحتاجين.
يعلم لله فيه حق	يقصد الزكاة .
أفضل المنازل	أحسن الدرجات عند الله .
صادق النية	يقصد عمل الخير .
يخبط في ماله بغير علم	يبذره في وجوه لاترضي الله .
أخبث المنازل	اتعس الدرجات عند الله .
وزرهما	إثمهما ، ثقلهما .

[١] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

الشرح والتعليق

جمع حديث الرسول (ﷺ) العذوبة والصفاء والمثل البارع والحكمة السديدة والإرشاد المخلص ، فأقبل الناس يتدارسونه ، ويستظهرون الكثير من أحاديثه بوصفه أبلغ العرب وأكثرهم معرفة باللغة العربية .

وقد روي عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال : ماسمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله (ﷺ) وسمعته يقول : (مات حتف أنفه) ، وما سمعتها من عربي قبله .

فهذا الحديث صورة رائعة محبوكة الأطراف تعبر بقوة وصدق عن عمل الفرد الذي يستهدف بعمله وماله مصلحة الآخرين ، فمن الناس من رزقه الله علماً ومالاً يسخرهما في أعمال الخير ويساعد بهما ذوي الحاجة ، ويؤدي حقوق الله بالزكاة ومازال كذلك حتى يتبوأ أعلى درجات الثواب في دنياه وآخرته .

وأما من ملك علماً من دون مال ، لكن نواياه باتجاه أهل المال الذين يسارعون إلى الخيرات، فإن ثوابه وأجره يعدل من عمل بهديهم .

لكن الذي أوتي مالاً من دون علم وبذر ماله في غير مرضاة الله شأنه بذلك شأن من لا مال له ولا علم وتمنى لو اقتدى به فإن اثمهما واحد .

إن بلاغة هذا الحديث في إيجازه وجزالة معانيه يقع في النفوس موقع الأمر الذي لا يقبل تأويلاً أو تحريفاً ، فهو يطابق قوله (ﷺ) : (الدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله) . فإن أنت أرشدت غيرك إلى عمل الخير ، وإن لم تفعله فأنت وفاعله سواء ، وإن أومأت إلى شخص ما ليقترف شراً فأنت وفاعل الشر بمنزلة واحدة .

المناقشة

١- هل تعتقد أن الصدقات تنقص أموال المتصدقين ، أم تزيدها ؟
عزز إجابتك بآيات من القرآن الكريم والحديث الشريف .

٢- ما أهمية العلم والمال على ضوء ما جاء في الحديث الشريف ؟

٣- كيف تفسر قول الرسول (ﷺ):(ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مظلمةً فصبر عليها ، إلا زاده الله عزاً) .

النثر في العهد العباسي

ضرورة الاجتماع

ـ رســـالة ـ



لأبي عثمان الجاحظ *

اِعلم - رَحِمَكَ اللهُ تعالى - أنَّ حاجةَ بعضِ الناسِ إلى بعضٍ، صِفَةٌ لازمةٌ في طبائعهم ، وخِلْقَةٌ قائمةٌ في جَواهِرِهم، وثابتَةٌ لا تُزايلُهُمْ ، ومُحيطةٌ بجماعَتِهم ومُشْتَمِلَةٌ على أدناهُمْ وأقصَاهُمْ ، وحاجَتُهُمْ إلى ماغابَ عنهم :
مما يُعِيشُهُمْ ويُحْيِيهم، ويمسك بأرْماقِهم ، ويُصلح بالَهُمْ ، ويَجْمَعُ شملَهُم، وإلى التعاوُنِ في درك ذلك ، والتوازُرِ عليه- كحاجَتِهم إلى التَّعاوُنِ على مَعْرِفَةِ ما يَضُرُّهُم والتوازُرُ على ما يحتاجونَ من الارتفاقِ بأمورِهم التي لم تَغِبْ عنهم . فحاجةُ الغائِبِ مَوْصولةٌ بِحاجَةِ الشَّاهدِ ، لاحتياجِ الأدنى إلى معرفة الأقصى ، واحتياج الأقصى إلى معرفة الأدنى، معانٍ مُتضمّنةٌ ، وأسبابٌ متصلةٌ ، وحبالٌ مُنعّقدة.وجعل حاجَتَنا إلى مَعْرِفةِ أخبارِ من كان قَبْلَنا ، كحاجَةِ من كان قبلنا إلى من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بَعْدَنا إلى أخبارنا ، ولذلك تقدمَتْ في كُتُبِ الله البِشاراتُ بالرُّسُل ، ولم يُسَخِّر لهم جميعَ خَلْقِهِ إلا وهُم يحتاجونَ إلى الارتفاق بجميع خَلْقِهِ ، وجَعَل الحاجةَ حاجتين: إحداهما قَوامٌ وقُوتٌ ، والأخرى لذّةٌ وإمتاعٌ وازديادٌ في الآلةِ ، وفي كُلِّ ما أجذَلَ النُّفُوسَ وجَمَعَ لهم العَتادَ ، وذلك المِقْدارُ من جميعِ الصنفينِ وَفْقٌ لكثرة حاجتِهِم وشهواتِهِم ، وعلى قَدْرِ اتساع معرفتِهم وبُعدِ غَوْرِهم ، وعلى قدرِ احتمالِ طَبْعِ البشريةِ وفِطْرَةِ الإنسانيةِ، ثم لم يقطعِ الزيادةَ إلا لِعَجْزِ خَلْقِهِم عن احتمالِها

---

*هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني ، كنايته الجاحظ لجحوظ عينيه ، أي بروز مقلتيهما. ولد بالبصرة نحو عام ١٦٠هـ - ٧٧٦م ونشأ فيها ، درس في الكُتّاب، كان يضطر بعد انتهاء الدراسة إلى كسب قوته ببيع السمك والخبز بمساعدة أمه ، قرب سوق المربد . فكان يلتقي رواة الأخبار والفصحاء ، صار شيخ كتاب التصنيف المتأدبين ، تناول كل فن ، ومارس كل علم ، لم يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته ، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويقيم فيها للدرس ، توفي سنة ٢٥٥هـ بعد أن سقطت عليه الكتب في مكتبته وهو مريض بالفالج (الشلل). من أشهر مؤلفاته (البيان والتبين ، الحيوان ، البخلاء ، رسائل الجاحظ ، والتبصر بالتجارة) .

ولم يُجِزْ أن يُفرّقَ بينهم وبينَ العَجْزِ إلا بعدَمِ الأعيانِ ، إذ كان العَجْزُ صِفةً من صفات الخَلْقِ ونعتاً من نُعوت العبيد.

لم يخلُقِ الله تعالى أحداً يستطيعُ بُلوغَ حاجتهِ بنفسهِ دونَ الاستعانةِ ببعض من سخَّرَ له، فأدناهم مُسَخَّرٌ لأقصاهم ، وأجلُّهُم مُيسَّرٌ لأدقّهم ، وعلى ذلكَ أحوَجَ المملوكَ إلى السُّوقَةِ في باب، وأحوَجَ السُّوقَةَ إلى الملُوكِ في باب ، وكذلك الغَنيُّ والفقيرُ ، والعبدُ وسيِّدُهُ ، ثُمَّ جَعَلَ الله تعالى كُلَّ شيءٍ للإنسان خَوَلا وفي يده مُذللاً مُيسَّراً إما باحتيال له والتلطُّفِ في إراغتِهِ واستمالتِهِ ، وإما بالصَّولَةِ عليه والفَتْكِ به ، وإما أنْ يأتِيَهُ سَهْواً ورَهْواً ، على أنّ الإنسانَ لولا حاجتُهُ إليها لما احتالَ لها ولا صالَ عليها ، إلا أنّ الحاجةَ تَفْتَرِقُ في الجِنْسِ والجِهَةِ والجِبِلَّةِ ، وفي الحظِّ والتَّقدير.

ثُمَّ تعبَّدَ الإنسانُ بالتفكُّرِ فيها، والنظَرِ في أُمُورِها ، والاعتبارِ بما يَرى ، ووصلَ بين عُقُولهم وبينَ معرفةِ تلك الحِكَمِ الشَّريفةِ ، وتلك الحاجاتِ اللّازمةِ بالنَّظَرِ والتَّفكيرِ وبالتنقيب والتَّنقيرِ ، والتَّثبُّتِ والتَّوقُّف ، ووصلَ معارِفهم بَمواقِعِ حاجاتِهم إليها ومشاعِرَهم بمواضِعِ الحِكَمِ والبيانِ عنها .

معاني المفردات

جواهرهم : جمع جوهر ، وهو من الشيء - الإنسان وغيره - ما خلقت عليه جبلته.

لاتزايلهم : لا تفارقهم .

بأرماقهم : واحدها الرَمَق ، بفتح الراء والميم ، وهو بقية الحياة .

شـملـهم : الشمل : الاجتماع ، وفي حديث الدعاء : «أسألك رحمة تجمع بها شملي»

درك : الدرك : اللحاق والوصول إلى الشيء ، أدركته إدراكاً ودركاً .

التوازر : التعاون والتعاضد.

الارتفاق : رفق فلاناً وأرفقه : نفعه ، وارتفقت بالشيء : انتفعت ، واسترفقته فأرفقني بكذا : نفعني . ومالي فيه مرفق ، ومرافق الدار : نحو المتوضأ والمطبخ وغيرهما.

يســخر : سخّره ، تسخيراً ، وتسخره : ذلّله وكلَّفه عملاً بلا أجرة . وهؤلاء سخرة للسلطان : يتسخرهم ، يستغلهم بغير أجرة .

قـــوام : القوام : بفتح القاف : ما يعاش به ، وبكسره : نظام الأمر وعماده وملاكه.
أجـــذل : أجذله فاجتذل : أفرحه ففرح .
العَتــــاد : العُدَّةُ ، جمعه أعْتُد .
وفـــقٌ : أي على قدرها .
غـورهم : الغور : القعر من كل شيء .. وفلان بعيد الغور: متعمق النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره .. وعرفت غور هذه المسألة.
السـّوقة : السّوقة : الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، أو قد يجمع سوقاً ، ومنه قول الحُرَقَةِ بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرُنا إذا نحن فيهم سُوقةٌ نتنصّف

خَـــوَلا : الخَولُ : ما أنعم الله تعالى من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، للواحد والجمع والذكر والأنثى .
إراغــته : ارادته وطلبه.
الصّـولة : السطو والوثوب.
الفتك به : هو انتهاز الفرصة منه فقتله أو جرحه مجاهرة ، أو أعم .
رَهـــوْاً : الرهو : السير السهل ، وأتاه بالشيء رهواً سهواً : أي عفواً سهلاً لا احتباس فيه.

التعليق النقدي

اشتهر الجاحظ في كثير من أنواع الكتابة الأدبية النثرية ، والعلمية وهو من الموسوعيين في إعداد التصانيف في أشهر الميادين ، التأريخية والجغرافية والطبيعية والرياضيات والجدل .

وهذه رسالة في ضرورة الاجتماع البشري ، ويبدو فيها مدافعاً عنه ، ومبررا لموضوعيته ، وشامل النظر في معالجته ، فهو مثلاً يعد سُنَةً قديمةً ، ارتقى بها البشر ، فحاجتنا إلى معرفة أخبار من كان قبلنا كحاجة من كان قبلنا إلى من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا إلى أخبارنا .

وللجاحظ أسلوب خاصٌ به وما يتصف به الافتتاح بالبسملة والحمدلة ، والتعويذات وهنا يستعمل في افتتاح رسالته ، جملة دينية اعتراضية في الدعاء للمخاطب المرسلة إليه الرسالة ليشدّه إليه.

ومما يزيّن به الجاحظ أسلوبَهُ في الرسالة هذه ، استعماله الموفق لفن السَّجْع والطباق والجناس .
ويشعر القارئ لمنثور الجاحظ ، أنه يكتب لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم .

المناقشة

١- ماخصائص أسلوب الجاحظ ؟
٢- في أي غرض وضع الجاحظ هذه الرسالة ؟
٣- ما الدليل على أن الجاحظ يكتب بأسلوب شامل ؟
٤- ما الذي استعمله الجاحظ في هذه الرسالة ليكسب إليه المخاطب بها.؟
٥- يزيّن الجاحظ أسلوبه بالسجع والطباق والجناس ، بَيِّن ذلك ؟

التعبير

حان الوقت لكي تكتب أنت رسالة رقيقة إلى صديق لك تحاول فيها إقناعه بفكرة ما مفيدة له .

المقصورة *

للشاعر : محمد مهدي الجواهري**

أقـــولُ لِنَفْســـي إذا ضَمَّهـــا ... وَأتْرَابَهـــا مَحْفِـــلٌ يُزْدَهـــى
تَسامَـــي فَإنَّــكِ خَيْرُ النــُّفوسِ ... إذا قـيسَ كُــلٌّ علـى ما انطَوى
وأحْسَـــنُ مافيــكِ أنَّ الضَّميـرَ ... يَصيـــــحُ مـــن القَلْب أنّي هُنا
شَهِــــدْتُ بــأنَّكِ مَذْخــــورَةٌ ... لِأبْعَــدَ ما في المَــدى مِنْ مَـدى
وأنَّـكِ ســوفَ تُـــدَوّي العصورُ ... بما تَتْــــرُكينَ بِها من صَـدى
سلامٌ علـى هَضَبـــاتِ العراقِ ... وشَطَّـيْهِ والجُــرفِ والمُنْحَـنى
على النَّخْلِ ذي السَّـعَفاتِ الطِّوالِ ... على سَيِّـدِ الشَّجَـــرِ المُقْتَنـــى
ودِجْلَـةَ تَمشْـي علـى هَوْنِهـــا ... وتَمشْـي رَخـاءً عليهــا الصَّبـا
تُريــكَ العِــراقيَّ في الحالَــتَيْنِ ... يُسْـــرِفُ فـــي شُحِّــهِ والنَّــدى
سَلامٌ علــــى قَمَـــرٍ فَوْقَهـــا ... عليهـــا هَـــفا وإلَـــيْها رَنا
تُــدَغْدِغُ أضْواؤُهُ صَـــدْرَها ... وتَـــمْسَحُ طيّاتها والـــثَّنى
على الجِسْـرِ ما أنفـكَّ من جانِبَيْهِ ... يُتيــحُ الهَـــوى مِنْ عُيونِ المهـا
فيــا لَيتَهُــنَّ الـّـذي يَعْتَـدي ... ويا لَيْتَــكَ الرَّجُـــلُ المُعْتَـدى

---

* المقصورة من مختارات قصائد الشاعر الجواهري ، نظمها في أواسط عام ١٩٤٧ م، ونشر قطعاً منها في الصحف العراقية . ومن المؤسف أن يكون جزءاً كبيراً منها يزيد على مئة بيت قد أطارته الريح وألقته في دجلة في أثناء اشتغال الشاعر بتنقيحه القصيدة خلال الصيف حيث كان يسكن داراً مطلة على النهر وأن يكون جزءاً منها يؤلف نحو خمسين بيتاً قد فقدت جذوره الأساسية التي يعتمدها الشاعر ساعة تدوين خواطره ، فيما فقد من أوراقه الخاصة في أثناء انتقال جريدته - الجهاد - عام ١٩٥٢ وعليه تكون مقصورة الجواهري مشتملة على ما يقارب أربعمئة بيت .

** ولد في النجف الأشرف عام ١٩٠٠م، ونظم الشعر في العشرين من عمره ، وعبر فيه عن تطلعات الشعب العراقي في الحرية والبناء . أخلص الجواهري لهذه القيم حتى وفاته عام ١٩٩٧م ودفن في دمشق. ويعد إخلاصه هذا سبباً لتعلق الأدباء والخيرين في أنحاء العالم بإنجازاته الشعرية . حاز لقب -شاعر العرب الأكبر - لجمعه بين التراث والمعاصرة في إطار بنية لغوية ، وصورية في الشعر ، صدرت له مذكرات جديدة . لم يظهر شاعر بعد المتنبي مثل محمد مهدي بن الشيخ عبدالحسين الجواهري .

معاني المفردات

أترابها	واحدها تِرب ، وهو القرين ، المساوي لك بالعمر.
محفل يزدهى	محفل مهيب.
تَسامي	اِشمَخي ، تَعاليَ .
على ما انطوى	على ما أحتوى .
هونــها	الهون البطء.
الصّـــبا	ريح عذبة تهب مع الشروق.
يسـرف	يُغالي.
رنــــا	نظر.
الثَّــنى	جمع ثنية الطيّة .
المـــها	الغزلان.

التحليل والتعليق

المقصورة واحدة من القصائد العصماء التي نظمها شاعر العرب الأكبر الجواهري في النصف الأول من القرن العشرين . وقوام أبياتها مئتان وثلاثون بيتاً فضلاً على مئة بيت أطارها الريح في نهر دجلة حيث كان يسكن شاعرنا في دار على ضفافه.

سميت القصيدة بهذا الاسم نسبة إلى قافيتها المختومة بالألف المقصورة ، مثل مقصورة ابن دريد صاحب معجم (الجمهرة) .

وهو لم يصف إباء النفس لديه وحسب ، بل أنه مَثَّلَ النفس العراقية الأبية ذات الوجدان الإنساني الذي ملأ قلبه حتى أقصى مدى على مدار السنين .

نثر الجواهري - جواهر سلامه على العراق الحبيب بما يضمه من هضاب وبساتين وحقول وشطآن ، وخص النخيل سيد الأشجار ولعله فاق (المعري) في قوله :

شربِنــا مــاءَ دَجلـــةَ خيرَ مـــاءٍ وزُرنا سيـــد الشَّجرِ النّخيـــلا

وذلك حين اختاره واقتناه من بين مجموع الأشجار المثمرات ؛ ليسود عليها ، تنام على ذراعي دجلة وهو يتهادى بمسيرته ، يرفدها بمائه العذب ، فيمضي الهوينا

على أنغام ريح الصَّبا التي تهب مع إشراقة الشمس ، ويترجم روح العراقي المنطلقة المتمثلة بالكرم والجود حتى في شُحِّه وفقره ، ويهدي سلامه للقمر الذي يرنو إلى دجلة الحبيبة ، يغازلها ، فتدغدغ أضواؤه سطح مياهها فتبدو صافية ساحرة .

ولم ينس الشاعر أن يربط الماضي والحاضر ، فيشير إلى بيت من الشعر لعلي ابن الجهم قال فيه :

عُيونُ المهَا بينَ الرُّصافَةِ والجِسْرِ   جَلَبْنَ الهَوى مِنْ حَيْثُ أَدْري ولا أَدري

وفضلاً على تحقيقه التآلف بين التراث والمعاصرة ، تميز ببعد الخيال، حيث يتمنى الشاعر لو تبادل المرأة والرجل الأدوار بشأن مشاعر الود والعواطف لكانت الحياة أجمل ، هذا جانب من اللوحة الفنية التي ورثناها من تراث شاعرنا ، كإحدى هداياه الثمينة لنا .

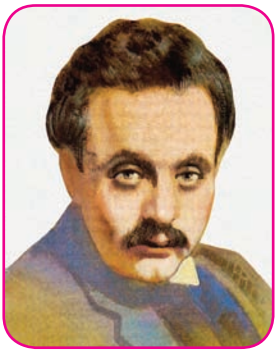
المناقشة

١- ماذا يقول الشاعر الجواهري لنفسه إذا حَلَّ في حفل مَهيب ؟
٢- ما أحسن ما في نفس الشاعر ؟
٣- سَلَّم الشاعر على كثير من مظاهر البيئة العراقية ، اُذكرها .
٤- صف اللّوحة الفنية التي رسمها الشاعر بشعره تترجم غزل القمر لنهر دجلة .
٥- لقد آلف الشاعر الجواهري بين التراث والمعاصرة ،اُذكر البيت الذي يمثل هذا الجانب في القصيدة .
٦- ما الأبيات التي صوّر فيها الشاعر الروح العراقية وسجيتها ؟
٧- هل أن قصيدة الشاعر الجواهري وصفية أم غزلية ، أم إنها تجمع بين الغرضين ؟

التعبير

وضح كيف أن الشاعر الجواهري قد آلف بين التراث والمعاصرة مستعيناً بما مرّ بك من قصائده في أثناء دراستك السابقة .

الكمال



جبران خليل جبران *

تسألني يا أخي متى يصيرُ الإنسانُ كاملاً ، فاسمع جوابي:

يسيرُ الإنسانُ نحو الكمال عندما يشعر بأنه هو الفضاء ولا حدَّ له ، وهو البحرُ بدون شواطئ ، وأنه النار المتأججة دائماً ، والنور الساطع أبداً ، والرياح إذا هَبّت أو إذا سكنت، والسُّحبُ إذا برقتْ وأرعدتْ وأمطرتْ ، والجداول إذا ترنّمتْ أو ناحتْ، والأشجارُ إذا أزهرتْ في الربيع أو تجرّدتْ في الخريف، والجبال إذا تعالتْ، والأودية إذا انخفضتْ ، والحقولُ إذا أخصَبَتْ أو أجدَبَتْ .

إذا شعر الإنسان بكل هذه الأمور بلغ منتصف طريق الكمال، أما إذا شاء بلوغ محجة الكمال فعليه إنْ شعر بكيانه أن يشعر بأنه الطفل المتكل الضائع بين أمانيه والكهل الذي يصارع ماضيه ومستقبله ، والعابد في صومعته ، والمجرم في سجنه والعالم بين كتبه وأوراقه ، والجاهل بين ظلمة ليله وظلمة نهاره ، والفقيربين مرارته وامتثاله ، والغني بين مطامعه وإذعانه والشاعر بين ضباب آماله وشعاع أسحاره.

إذا استطاع الإنسان أن يَختبر ويعلم جميع هذه الأمور يصل إلى الكمال ويصير ظلاً من ظلال الله.

---

*جبران خليل جبران بن ميخائيل بن سعد من أحفاد يوسف جبران الماروني اليشعلاني شاعر لبناني أمريكي ولد عام ١٨٨٣م في بلدة بشري شمال لبنان توفي في نيويورك سنة ١٩٣١م إثر إصابته بمرض السل . كان قد هاجر إلى أمريكا عام ١٨٩٥م ، ثُمَّ عاد إلى موطنه لبنان ثم هاجر إلى فرنسا وعمل مصوراً ، وقد نزح إلى نيويورك، وأسس مع زملائه - الرابطة القلمية - جمعت مقالاته في كتاب (البدائع والطرائف). كان فيلسوفاً وشاعراً ورساماً ، من أسرة فقيرة وأبوه كان راعياً للماشية من أصل سوري. اسم أمه كاملة رحمة من عائلة دينية ، لها أثر كبير في تنشئته الأدبية والفنية ، أشاد بها في كتابه (الأجنحة المتكسرة) ، وأهم مؤلفاته كتاب (النبي) ترجم إلى عدة لغات، ودمعة وابتسامة، والأرواح المتمردة ، البدائع والطرائف ، والمراكب والعواصف ومن مؤلفاته باللغة الإنجليزية : النبي، والمجنون ، رماد وزبد، الإعلام الزركلي ، التائه ، السابق حديقة النبي.

التعليق النقدي

توضح مقالة الأديب الشاعر والفيلسوف الرسام جبران خليل جبران ، نزوعه إلى الفضيلة، يأتي الظلم بأي شكل ، فهمه إنساني ، يهدف إلى تحرير الوضع البشري من كل عبودية. وأسلوبه في الكتابة ، يأخذ شكل القصيدة المنثورة ، الذي لم يعرفه الأدب العربي من قبل ، يستخدم الأمثال في كتاباته الفنية ، بالصور التلميحية والجمل الاستفهامية . يقول في إحدى مقالاته: مَن يستطيع أن يفصل إيمانه عن أعماله ، وعقيدته عن مهنته؟ أو ليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها ؟

يتمثل أدبه في اتجاهين : الثورة على الواقع الاجتماعي بالاحتجاج على حماقة بعض الناس الذين يعدون من يقول الحقيقة مجنوناً ، والذي يطمح إلى التغيير يعاقب، وفي الاتجاه الآخر يدعو إلى الاستمتاع بالحياة ، ويتميز أدبه بالبساطة واللهجة الساخرة والتعابير التلقائية البسيطة ، وأسلوبه السلس يدعو إلى تفتح الذات، وإلى ظمأ أكثر وأعمق للحياة ، فضلاً على الروح الرومانسية والنزعة الحزينة الوعظية ، إن نشأة جبران النهمة إلى المعارف والإبداع جعلت منه فيلسوفاً باطلاعه على الدراما اليونانية والاساطير الهندية والزراد شتية الفارسية والشعراء الصوفيين واطلاعه على القرآن الكريم والأناجيل ومؤلفات أدباء العرب كابن خلدون وابن سينا والمتنبي ، صنعت منه كاتباً وشاعراً ، فخلص إلى أسلوب ونهج خاصين به ويمكن أن نفهمه أكثر من خلال الاطلاع على بعض أقواله :

- أولادكم ليسوا أولاداً لكم ، إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها .
- المحبة لا تعطي إلا نفسها ، ولا تأخذ إلّا من نفسها ، والمحبة لا تملك شيئاً ولا تريد أن يملكها أحد ، لأن المحبة مكتفية بالمحبة .
- وفي العمل يقول : قد طالما اخبرتم أن العمل لعنة ، والشغل نكبة ومصيبة . أما أنا فأقول لكم : إنكم بالعمل تحققون جزءاً من حلم الأرض البعيد، جزءاً خصص لكم عند ميلاد ذلك الحلم . فإذا واظبتم على العمل النافع ، تفتحون قلوبكم بالحقيقة لمحبة الحياة، لأن من أحب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة أعماقها ، وتدنيه من أبعد أسرارها .

المناقشة

١- متى يسير الإنسان نحو الكمال في رأي الكاتب جبران خليل جبران ؟
٢- كيف يشعر الإنسان أنه هو الفضاء الذي لا حدود له ؟ أوضح ذلك .
٣- إذا شعر الإنسان بأنه البحر والنار والنور والرياح والسحب والجداول والأشجار والأودية والحقول ، هل يبلغ منتصف الطريق أم يصل إلى الكمال؟
٤- متى يبلغ الإنسان محجة الكمال في رأي جبران ؟
٥- ماذا يقصد الكاتب بقوله : إذا استطاع الإنسانُ أن يختبر ويعلم جميع هذه الأمور ، يصل إلى الكمال ويصير ظلاً من ظلال الله ؟

التعبير

تركت أُم جبران في شخصيته بصمات عميقة ، وأولته رعاية خاص ، ولم يفته أن يشيد بها في كتابه (الأجنحة المتكسرة) حيث قال: (إن أعذب ما تحدثه الشفاه البشرية هو لفظة (الأُم) ، وأجمل مناداة هي (أمي) ، كلمة صغيرة مملوءة بالأمل والحب والانعطاف وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة ، والأم هي كل شيء في الحياة ، هي التعزية في الحزن ، والرجاء في اليأس ، والقوة في الضعف . هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران ، فالذي يفقد أُمه يفقد صدراً يستند إليه رأسه ، ويداً تباركه ، وعيناً تحرسه).

أُكتب مايجود به قلمك وفكرك عن (الأُم) على هدي الأفكار التي توحي بها إليك كلمات الكاتب جبران خليل جبران.



سِحْرُ الرّبيع

للشاعر : عبد الله البَرَدوني*

رَضِّـــع الدُّنيا أَغــاريداً وشِعرا　　　وتَفـــجَّرْ ياربيـــعُ الحُبِّ سُكْرا
وافرُشِ الأرضَ شُـــعاعاً ونَدى　　　وتَرقْرَقْ في الفَضا سِحْراً وإغْرا
يا رَبيـــعَ الحُـــبِّ لاقَتـــكَ المُنى　　　تحْتَسي مِن جَوِّكَ المَسحورِ سِحْرا
ياعروسَ الشِّـــعْرِ صَـــفِّقْ لِلغنا　　　وتَرقَّصْ في ضِفافِ الشِّعْرِ كِبْرا
أسْـــفَرَتْ دُنيـــاكَ للشِّـــعرِ كَما　　　أسـفَرَتْ للعاشِقِ المَحْروم عذْرا
فَهُنـــا الطَّـــيْرُ تُغَنـــّي وهُـــنا　　　جَـــدْوَلٌ يَذري الغِنا رِيّاً وطُهْرا

*ولد الشاعر عبد الله بن صالح بن حسن الشحر عام ١٩٢٩م ، وأمه نخلة بنت أحمد العامر (ت ١٩٥٨م) في قرية - بَرَدون في اليمن والتي تبعد حوالي(١٥٠)كم عن صنعاء. نشأ في أسرة فقيرة وأصيب بمرض الجدري الذي أفقده بصره وهو طفل . تلقى تعليمه في الكتاب (المعلامة) وحفظ القرآن الكريم . درس النحو والفقه في المدرسة الشمسية ، ثم التحق بدار العلوم وتلقى فيها علوم البلاغة والتفسير والصرف والنحو وتخرج منها عام ١٩٥٣م، واطلع على كتب ومؤلفات عدد من الكتاب والأدباء المشهورين أنمت قدراته وشخصيته الثقافية الأدبية. عمل محامياً وقاضياً واستاذاً للأدب العربي في دار العلوم، ورئيساً لاتحاد الأدباء في اليمن . من مؤلفاته : (من أرض بلقيس) و (ديوان عبدالله البردوني) و(مدينة الغد) و(رحلة في الشعر اليمني) زار العراق وسوريا ولبنان ومصر. توفي سنة ١٩٩٩م في الأردن .

وصَبايا الفَجْرِ في حِضْــنِ السَّنا ... تَــنثُرُ الأفــراحَ والإلهامَ نَثرا
والسُّـــهولُ الخُضْرُ تَشْدو والرُّبا ... جَوْقَةً تجْلو صَبايا اللّحْنِ خَضْرا
فَــكَأنَّ الجَــوَّ عَــزْفٌ مُسْـــكِرٌ ... والحَــياةَ الغَضَّةَ المِمْراحَ سَكْرى
والرَّيــــاحينَ شــــذِيّات الغِــنا ... تبعَــثُ اللّحْنَ مَعَ الأنْســامِ عِطْرا
وكــــأنَّ الـــرَّوْضَ في بَهْــجَتِهِ ... شـــاعِرٌ يَبْتَــكِرُ الأنْغامَ زَهْرا [١]

التعليق النقدي [٢]

لوحة تشكيلية عن الربيع النابض بالحياة ... تحتاج إلى فنان يتمتع بقوة بصرية تصل باتساع حدقته إلى أعمق المعاني ، وأدق الجزئيات . فكيف بكفيف شاعر يتولىهذه المهمة الغاية في الدقة ؟ هنا يجيء دور الذكاء عند الشاعر . استطاع أن يقتبس الصور المرئية من أشعار السابقين ويصوغها صياغة جديدة .

والبَرَدوني في الحقيقة يحمل في أعماقه مصباحاً مضيئاً للعتمة ، فتأتي قصيدته مثل صرخة تبدد الصمت الداخلي الدفين ... هو الآخر يبحث عن سنبلته المقبلة يراها ببصيرته عبر الإيقاع اللغوي الحاد المتواتر ، نراها في قصيدته بعنوان (فصل من تأريخ الصبح) في ديوانه (كائنات الشوق الآخر):

كيف جاءَ الصباح من أيِّ مَنْحى ... هل درى أينَ باتَ أو كيف أضــحى
عَــلَّهُ أخْبرَ العَصــــافيرَ صَمْتاً ... وأجـــادَتْ إجـــابَةً غَــيْرَ فُصحى
عِــندما اجتازَ ربْوةً صاح (دوح) ... للكـــناري للشـــحارير مــرَحى
أيُّ شــــيءٍ ســمِعْتَ يانخلُ عنهُ ... قـــالَ كُلُّ اللـــغاتِ ومْضاً ونفْحا
قـــال هــذا الزمـــانُ لاليلَ فيهِ ... وهـــو يطْـــوي النَّهار جُنحاً فجُنحا
قـــال في قلْبــهِ قُـــلوبٌ سَتأتي ... خَلْــفَ عيْــنَيْهِ أعْــيُنٌ غيرُ قرحى

---

(١) من ديوان البردوني (أرض بلقيس) / المجلد الأول.
(٢) مقتبس عن كتاب (الصورة الشعرية عند عبدالله البردوني) / دراسة للكاتب وليد مشوِّح / منشورات اتحاد الأدباء العرب / ١٩٩٦ (بتصرف).

إنه يعبر عن أحلام اليقظة في عالمه المظلم ، ويطرح الأسئلة عبر القصيدة على شكل صورة . هذه الأسئلة بمثابة شموع يشعلها في داخله وعلى شعاعها يرسم لوحته الشعرية . يقول في قصيدته (صراع الأشباح) :

وأَفِرُّ مِنْ نَفْسِــــي إلى نَفْســــي وأهـــــرُبُ مـــِنْ فِــــراري

أهـــوي على ظِلّـــي كَـــما يــــهْوي الجِدارُ علـــىالجِـدارِ

وأُســـائِلُ الأحـــلامَ عَـــنْ دُنيـــا ترق على انكســـــاري

يقولُ الأديب اليمني المعاصر د.عبدالعزيز المقالح : (وعندما وصلتُ إلى البردوني وضعته على رأس المدرسة الرومانسية .. فالبردوني كان ابتداعاً مجدداً في اللفظة وفي الصورة وفي الموضوع أيضاً . وقد حلّق ورحل مع هموم بلاده ومع همومه الذاتية ..)

والنزعة الدرامية أحد أهم العناصر التي وظَّف بها البردوني أداته الشعرية لخدمة رؤيته الفنيّة .. ولم يكن البردوني الأنموذج الأوحد للأعمى المبدع ، ففي عصره مبدعون يوازونه، إذا لم يتفوّقوا عليه . فعميد الأدب العربي طه حسين ، والشاعر المبدح أحمد الزين من قبله ، وقبلهم أبو العلاء المعري وبشار بن برد ، وإن من يطالع حياة العميان ، في تراثنا الأدبي والفكري والديني ، ستأخذه الحماسة ويربط العبقرية بالعمى .

لم يكن البردوني وحيد شركائه في مصابه ، وإنما كان لهذه المحنة من التأثير فيه ما كان لها في غيره ممن سبقوه في الابتلاء بها أو لحقوا به ، حيث دفعتهم دفعاً إلى أن يتسلح البصير منهم بتدريب حواسه الأخرى ... مما يعوضه عن فقدان البصر ويفوقه على أكثر المبصرين . قال صلاح الدين الصفدي في كتابه الموسوم (نكت الهميان في نكت العميان):

(قلَّ إنْ وجد أعمى بليداً ، لا يُرى أعمى إلا وهو ذكي ، والسبب الذي أراده في ذلك ، أن ذهن الأعمى وفكره يجمعان عليه ، ولا يعود متشعباً بما يراه . ونحن نرى الإنسان إذا أراد أنَّ يتذكر شيئاً نسيه ، أغمض عينيه وفكّر فيقع على ماشرد من حافظته . وفي المثل: (أحفظ من العميان) .

والمطلع على سجل الخالدين من المبدعين ينبهر بما قدمه العباقرة المكفوفون . فمن غير العرب (هوميروس) الذي قدّم - الالياذة والأوديسة - وتميزت (ماريا تيريزا) في الموسيقا ودنيا النغم ، وما قدمه (لويس بريل) بطريقته في تعليم المكفوفين ، وما برع به (ماسويللي) الإيطالي في فن النحت .

ومن المعروفين عندنا من الأدباء المكفوفين كثار . فبشار إذا ما استخفّ به المبصرون في التغزل بمن لايراها ، فيصف كأنه يرى بل خيراً ممن يرى ، مما يثير الدهشة ، فيقول في غزله :

يــاقومُ أُذني لبعــضِ الحيّ عاشــــقِةٌ والأذنُ تعشــقُ قبــلَ العيــنِ أحــيانا
قالوا بمن لاترى تهذي فقلـــتُ لهم الأذن كالعـــينِ توفي القلبَ مــاكانــا
هـــل من دواءٍ لمشــغوفٍ بجـــاريةٍ تلقى بلقـــيانا روحـــاً وريحــــانا

ويخاطب أبو العلاء المعري نفسه ويثير أشجانه الصامتة في ظلماته ويقول :

أبـــا العلاءِ يابنَ ســـليمانا إن العَمـــى أولاكَ إحْســــانا
لو أَبْصَرَتْ عيناكَ هذا الوَرى مـــا أبْصـــرَتْ عينْاك إنسانا

أما البردوني فيظهر تفاؤله ويحسّ بنور الفجر وعنده رمز المستقبل الواعد بالخير والتقدم والجمال :

إنَّ خــلفَ اللــيلِ فجْرٌ نـــائمٌ وغداً يصـــحْو فيجتاحُ الظّلاما
وغـــداً تخضَرُّ أرضي وترى في مكانِ الشّوك ورداً وخزامى

والظلام في مخيِّلته يلفّ الأجواء من حوله ، وهو مقترن أبداً بالظّلم :

اللّيل من حَوْلي يَضِجُّ وينْطَوي في صَمْتِهِ كالظالمِ المتعالي

وهكذا يلتقي الشاعر البردوني مع طه حسين والمعري وبشار في الاعتماد على البصيرة وليس الباصرة، ملتمساً بحواسه الأخرى لإدراك الذات والعالم من خارجها.

المناقشة

١- لو لم تعرف أن قائل هذه القصيدة شاعر مكفوف البصر ، أيخيل لك أنه أعمى أم بصير ؟ علام يدل ذلك ؟

٢- كيف تهيأ للشاعر الكفيف البردوني الربيع ليصفه بهذه الأبيات ؟

٣- بماذا تميز شعر البردوني من شعراء عصره ؟ وكيف التقى مع من سبقوه في المشاعر والأحاسيس والرؤية ؟

٤- كيف تفسر منحى الشاعر عبدالله البردوني إلى الرومانسية والدراما ؟

٥- هل من يطلع على حياة العميان في تراثنا الأدبي والفكري والديني ستأخذه الحماسة ويربط العبقرية بالعمى ؟ أوضح ذلك .

التعبير

أغمض عينيك وسر في طريقك ، مدة من الزمن ، ثم حاول أن تكتب عما يعانيه فاقدو البصر في حياتهم ، والنعمة التي حرموا منها ، والتي نشكر الله تعالى عليها في كل لحظة من حياتنا .

المعلم بين شاعرين (١)

١ـ المعلم



للشاعر : أحمد شوقي*

قُمْ للمُعلِّمِ وَفِّهِ التَّبجيلا ... كادَ المُعَلِّمُ أن يكونَ رسولا
أعَلِمْتَ أَشْرَفَ أو أجَلَّ مِنَ الّذي ... يَبني ويُنشِئُ أنفُساً وعُقولا
سُبحانَكَ اللّهمَّ خَيْرَ معلِّمٍ ... عَلَّمْتَ بالقَلمِ القُرونَ الأولى
أخْرَجْتَ هذا العَقْلَ من ظُلُماتِه ... وهَدَيْتَه النورَ المبينَ سبيلا
أرسلْتَ بالتّوراة موسى مُرْشِداً ... وابنَ البَتولِ فَعَلَّمَ الإنجيلا
فَجَّرْتَ يَنْبوعَ البيانِ مُحمَّدا ... فَسقَى الحديثَ وناولَ التّنزيلا
من مَشرِقِ الأرضِ الشُّموسُ تَظاهَرتْ ... مابالُ مَغْرِبِها عليهِ ديلا
يا أرضُ مُذْ فقَدَ المُعلِّمُ نَفْسَهُ ... بَيْنَ الشُّموسِ وبَيْنَ شَرْقِكِ حيلا
حتى رَأيْنا مِصْرَ تخطو إصْبَعاً ... في العِلْمِ إنْ مَشَتِ الممالِكُ ميلا
تَجِدُالّذين بَنى المَسَلَّةَ جدَّهُم ... لايُحْسِنونَ لإبرَةٍ تَشكيلا
الجَهلُ لا تَحْيا عليهِ أُمَّةٌ ... كيفَ الحياةُ على يَدَي عِزريلا
وإذا النِّساءُ نشأْنَ في أُمّيّةٍ ... رَضَعَ الرِّجالُ جهالةً وخُمولا
وإذا المُعَلِّمُ لم يكُنْ عَدْلاً مَشى ... روحُ العدالَةِ في الشَّبابِ ضَئيلاً
وإذا أُصيبَ القَوْمُ في أخْلاقِهم ... فَأَقِمْ علَيْهم مَأْتماً وعَويلاً
ليسَ اليتيمُ من انتَهى أبَواهُ من ... هَمِّ الحياةِ وخَلَّفاهُ ذَليلا
فأصابَ في الدُّنيا الحكمةِ مِنْهُما ... وبِحُسْنِ تَربيةِ الزَّمانِ بَديلا
إنَّ اليتيمَ هوَ الّذي تَلْقى لَهُ ... أُمّاً تَخلَّتْ أو أباً مَشْغولاً

---

(١) تناول الشاعران أحمد شوقي وإبراهيم طوقان بقصيدتين (المعلم) بقصيدتين اعتمدناهما للموازنة .

* ولد أحمد شوقي بالقاهرة سنة ١٨٦٨م . اشتغل موظفاً في قصر الخديوي توفيق ، درس الحقوق والآداب بفرنسا ، تزود بالثقافة الأوربية ، ثم عاد إلى مصر ، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى نفاه الانجليز إلى إسبانيا ، حاز لقب - أمير الشعراء - سنة ١٩٢٧ م ألّف كثيراً من المسرحيات : وله ديوان - الشوقيات - ومن أشهر مسرحياته (مجنون ليلى ، وقمبيز ، وعلي بك الكبير ، والست هدى ، ومصرع كليو باترا) ، توفي سنة ١٩٣٢م .



٢- الشاعر المعلم

للشاعر : إبراهيم طوقان *

شَــوْقي يَقولُ ومادَرى بمُصيبَتي ... قُــمْ للمُعَـــلِّمِ وَفِّهِ التَّبــجيلا

أقْعُـــدْ فديْتُكَ هَلْ يكونُ مُبَجَّلاً ... مَن كـــانَ للنَّشْءِ الصِّغارِ خَلـيلا

ويكـــادُ يُقلِقُني الأميرُ بِقَوْلِـهِ ... كـــادَ المُعَلِّمُ أنْ يكونَ رَســولا

لـــوْ جرَّبَ التَّعليم شوْقي ساعةً ... لَقَضـــى الحيـاةَ تعاسةً وخُمـولا

حَسْــبُ المُعَــلِّمِ غمَّةً وتعاسَةً ... مَــرْأى الدَّفـــاتِرِ بُكْرَةً وأَصـيلا

مِئــةٌ على مِئَةٍ إذا هيَ صُحِّحَتْ ... وَجَدَ العَمـــى نَحــوَ العُيونِ سَبيلا

ولَوْ أنَّ في التَّصْحيحِ نَفْعاً يُرْتَجى ... ما كُنْـــتُ - وَيْحَكَ - بالعُيونِ بَخيلا

لـــكِنْ أُصــلِّحُ غَلْطَةً نَحْويَّةً ... مثــلاً - وأتخِذُ الكِتــابَ دَلـيلا

مُسْــتَشْهداً بِالغُــرِّ مِنْ آياتِهِ ... أو بالحــديثِ مُفَصّلاً تَفْصـيلا

وأَغوصُ في الشِّعرِ القَديمِ فأَنْتَقي ... ماليْسَ مُـبتَذَلاً ولا مَنْــحولا

وأكادُ أبْعَثُ سيــبوَيْهِ من البِلى ... وذَويهِ مِنْ أهْــلِ القُـرونِ الأولى

فـــأرى - حِماراً - بَعْدَ ذلكَ كُلِّهِ ... رَفَــعَ المُضــافَ إليْهِ والمَفـعولا

لاتَعْجَبوا إن صِحْتُ يَوْماً صَيْحَةً ... ووقـــعْتُ مــابَيْنَ البــنوكِ قَتيلا

يـامَنْ يُريــدُ الانْتِحارَ وجدْتُهُ ... إنَّ المُعَـــلِّمَ لا يَعيــشُ طَويــلا

---

* ولد الشاعر إبراهيم طوقان سنة ١٩٠٥م . حفظ القرآن الكريم وأفادَ من بلاغته وبيانه ، درس في المدرسة الرشادية بمدينة نابلس ، ثم في مدرسة المطران بالقدس ، التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت عين مدرساً في مدرسة النجاح بنابلس ، وأصبح أستاذا في الجامعة الأمريكية ببيروت ، لُقِّبَ بـ (شاعر الجامعة) حيث كانت أولى قصائده (ملائكة الرحمة) ، تقلد وظيفة إدارية وعمل في إذاعة فلسطين فصل منها لمواقفه الوطنية ، توجَّهَ إلى العراق بصحبة زوجته وولديه ، وعندما عاوده المرض نقل إلى بلده حيث توفي سنة ١٩٤١م . نظم في السياسة والغزل والوصف ، ومن أشهر قصائده (الثلاثاء الحمراء) و (الحبشي الذبيح) .

معاني المفردات

التـــــبجيلا : الاحترام والتكريم .
أجـــــــلَّ : أعلى رِفعة .
ابن البتــول : عيسى (عليه السلام).
المســـــلة : مجموعة الشرائع للحضارات البشرية الأولى - مدونة على ألواح حجرية أو طينية كمسلة حمورابي .
عِـــزريلا : عزرائيل : ملك الموت .
المــــأتم : مجمع العزاء .
غمة : الغــم : الكآبة .
حسب المعلم : كفى المعلم.
بكرة وأصيلا : صباحاً ومساءً.
الكـــــتاب : يقصد القرآن الكريم .
ماليس مبتذلاً : المنتقى .
منحــــولا : منقولا.
البــــلى : العدم .

التحليل والتعليق

يُهيبُ بنا الشاعر أحمد شوقي أن نقوم إجلالاً وإكباراً للمعلم ، واعترافا بالجميل الذي أسداه لنا ، حيث أوقف معظم حياته ليؤدي رسالته المقدسة في تعليم الأجيال وتهذيب النفوس ، فاستحق التكريم والتبجيل بالدرجة التي ذكرها الشاعر شوقي لا لأنه معلّم وحسب ، بل بوصفه رسولاً للعلم والمعرفة ، فهو إذ يقدم إلينا ما نحتاج إليه من علم ومعرفة ومشورة ، يكون بمثابة الرسول الذي يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين ،وبهذا يذكرنا بالنعمة التي وهبها الله لنا من قبل ، يوم كنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، فصرنا خير أمّة أُخرجت للناس ، شعت بنور الحضارة الإنسانية على العالم كله منذ أقدم العصور ، ويحذرنا إن تخلى أفراد المجتمع أو قادته عن مبادئ العلم والعدل والأخلاق ، خيم عليهم الجهل والظلم والتخلف ، وما عادوا قادرين على مجاراة سواهم.

ثم إنه يشير إلى حبل الإنقاذ وسفينة النجاة ، إلى الأُسرة بربّانها وطاقمها والمدرسة بمعلميها وإدارتها وطلابها ، ليتحقق تعاونهما فننهض من جديد نشاطر الأمم في أسباب التقدم نحو حياة أفضل .

هكذا أدلى شوقي بدلوه ، وهو لم يكن معلماً أو مدرساً أوأُستاذاً جامعياً . فانبرى إبراهيم طوقان (الشاعر المعلم) الذي كان مدرساً للغة العربية ، يشاطر أمير الشعراء بقصيدة تضاهي المعاني الرائعة التي جاء بها شوقي وتكفَّلَ مضامينها .

نحن لا نُعِدُّ هاتين القصيدتين من (النقائض) ، بل إنهما متعاضدتان بالمضمون متباينتان بالأسلوب ، فهما متفقتان على القول : (كاد المعلم أن يكون رسولا) لكن شوقي قالها بجدية ووضوح ، وطوقان حكاها بأسلوبٍ ساخرٍ مبطن بالفكاهة وأسباب ذلك جلية واضحة ، فطوقان كان معلماً كابد مرارةً العيشٍ والضغوط النفسية جراء تعامله مع الطلبة ، وأكوام الدفاتر التي خطت بأنواع الخطوط ، وبذل جهده واقفاً يشرح الدروس ويعقب عليها ، فيبح صوته ويحرق دمه ، من أجل أن يستوعب طلبته مهارات اللغة ، بوسائل شتى لا يحصل عليها إلا بشق النفس ، وإذا به يصدم بفشل بعض طلبته في الاستيعاب ، فيشعر بخيبة الأمل .

فشوقي يرى أن هذا المربي الذي حمل رسالةً قريبةً من رسالات الأنبياء، يُربّي أجيالاً ويصنع عقولاً ، في حين يرى طوقان أن هذا المربي المثقل بالهموم ، بمثابة الشمعة التي تحرق نفسها لتضيء للآخرين . فهو لا يعني الاستهانة بهذه الوظيفة الإنسانية ، ولا يقصد الانتقاص من أطراف العملية التربوية ، بل أراد أن يُضحكنا بفكاهة ، يداعب بها مشاعرنا ، كما فعل الممثل الكوميدي - شابلن - الذي كان يسخر من الظواهر الاجتماعية ويعكسها بأفلامه الهزلية .

وبهذا أراد طوقان أن ينصف المعلمين والمدرسين والأساتذة في مواقعهم ليتبوَّأ كُلٌّ منهم المنزلة المرموقة التي تليق به ، فمنحهم الحفاوة والتكريم ، كما هو شأن زملائهم في بلاد أوربا واليابان وغيرها ، فهم السبب في نهوض هذه الأمم وتقدمها، وبخاصة يكاد لا يخلو كيلو متر واحد في بلادنا من واحد منهم .

المناقشة

١- يطلب منا الشاعر شوقي أن نوفي المعلم التكريم والتبجيل ، ما الدَّيْن الذي في أعناقنا للمعلم ؟

٢- ما (المصيبة) التي عناها الشاعر طوقان ، ولا يدري بها شوقي ؟

٣- يشير الشاعر أحمد شوقي إلى آية وردت في القرآن الكريم بقوله :
(علمت بالقلم القرون الأولى) . ما الآية التي عناها ؟

٤- ماذا يعني الشاعر طوقان بقوله :

مستشهداً بالغُرِّ من آياته   أو بالحديث مفصلاً تفصيلا

٥- من هو اليتيم برأي الشاعر شوقي ؟ كيف عبّر عن ذلك ؟

٦- كيف تفسر قول الشاعر طوقان :

فأرى - حماراً - بعد ذلك كله   رفع المضاف إليه والمفعولا

٧- ماوجه التوافق بين الشاعرين - شوقي وطوقان - على أن رسالة المعلم تماثل رسالة الأنبياء ؟

٨- هل قصد الشاعر طوقان بقصيدته أن يسيء إلى أحد من أطراف العملية التربوية أم هل أرادَ إنصافهم ؟ ما الأسلوب الذي اعتمده ؟

٩- كيف وَظَّف الشاعران النصوص القرآنية في قصيدتيهما ؟

التعبير

١- نقم الشاعرإبراهيم طوقان على تجار الوطنية ، فقال فيهم أبياتاً شعرية نعرض قسماً منها فيما يلي ، حللها وعلق عليها من حيث الالتزام الوطني ، وعمق المعاني، وقوة الخيال، وجمال الصور وابتكارها ، ورشاقة الألفاظ وبساطتها ، وجمال التعبير، والتوزيع الموسيقي :

باعوا التُّراب إلى أعدائهم طمعاً   بالمال لكنما أوطانـــهم باعـــوا
قد يُعْذَرونَ لو أَنَّ الجَّوع أَرْغَمَهُم   والله ما عَطِشوا يَوْماً ولا جاعوا

يـــابائعَ الأرض لـــم تَحْفَلْ بِعاقِبَةٍ   ولا تَعَلَّمْــت أنَّ الخَصْـــمَ خَدّاع
فَكِّرْ بمــوتِكَ في أرضٍ نَشأْتَ بها   واتْرُكِ لِقَبْرِكَ أرضــاً طولها باعُ

٢- حلل مضامين البيتين اللذين قالهما الرصافي في المعلم :

معلمُ أبنـــــاءِ البـــلاد طبـــيبهم   يداوي سُقامَ الجــهلِ والجهلُ مُسقمُ
فلو قيل من يستنهضِ القوم للعلى   إذا ساءَ محيـــاهم لقـــلتُ المعلِّمُ



صراع البداوة والحضارة*

د. علي الوردي**

خلال دراستي للمجتمع العراقي وجدتُ فيه ظاهرة اجتماعية كدتُ ألمحها فيه أينما توجهت في نواحيهِ المختلفة عبر الزمان والمكان ، وهي التي أسميتها بظاهرة الصراع بين البداوة والحضارة .

لقد أجمعَ علماء الآثار أنَّ العراقَ كان مهبط حضارة تعدُّ من أقدم الحضارات في العالم، وقد شاركته في هذهِ الميزة مصر ، واْختلفَ بعضُ العلماءِ حولَ أيهما أسبق حضارة من الآخر ، ونحنُ لا يهمنا هنا أنْ يكونَ العراق له فضل السبق في هذا المضار ، فالذي يهمنا بالدرجة الأولى أنْ نعرفَ أنَّ العراقَ قد احتضنَ منذُ بداية التأريخ البشري حضارة مزدهرة، وسيان عندنا بعدئذ أن تكون هذه الحضارة هي الأولى من نوعها أم الثانية .

وظلت الحضارة تراود العراق حيناً بعد حين ، وقد مرَّ عهد ، إبّان تأسيس الدولة العباسية، أصبحَ العراقُ فيه مركز الحضارة العالمية ، حتى صارت عاصمته بغداد بودقة اجتماعية ضخمة تذوب فيها خلاصة ما أبدعه البشر من تراث حضاري حتى ذلك الحين .

---

* من كتابه : دراسة في طبيعة المجتمع العراقي .

**مؤرخ وعالم الاجتماع : ولد عام ١٩١٣م في الكاظمية من العاصمة بغداد . حصل على شهادة الماجستير في علم الاجتماع من جامعة تكساس الأمريكية عام ١٩٤٦م بعد تخرجه من جامعة بيروت سنة ١٩٤٣م ، ثم حصل على الدكتوراه سنة ١٩٥٠ م. عين مدرساً في كلية الآداب عام ١٩٥٠م بجامعة بغداد ، ورقي إلى استاذ عام ١٩٦٢ م . أُحيل على التقاعد سنة ١٩٧٠م وتوفي سنة ١٩٩٦م. من مؤلفاته (شخصية الفرد العراقي) و (خوارق اللاشعور) و (وعاظ السلاطين) ، و (مهزلة العقل البشري)، و (الأحلام بين العلم والعقيدة) ، و (أسطورة الأدب الرفيع) ، و (منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته) ، و (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) ، و (لمحات اجتماعية في تأريخ العراق الحديث) .

ونجد العراق من الناحية الأخرى واقعاً على حافة منبع فياض من منابع البداوة هو منبع الجزيرة العربية . فكان العراق منذ بداية تأريخه حتى يومنا هذا يتلقى الموجات البدوية واحدة بعد الأخرى ، فكان بعض تلك الموجات يأتيه عن طريق الفتح العسكري ، وبعضها الآخر يأتيه عن طريق التسلل التدريجي ، وكلا هذين النوعين من الموجات لابد أن يؤثر في المجتمع العراقي ، قليلاً أو كثيراً ، فتنتشر فيه القيم البدوية وتحاول التغلغل في مختلف فئاته وطبقاته .

هنا نجد الشعب العراقي واقعاً بين نظامين متناقضين من القيم الاجتماعية : قيم البداوة الآتية إليه من الصحراء المجاورة ، وقيم الحضارة المنبعثة من تراثه الحضاري القديم .

المتوقع في مثل هذه الحالة أن يعاني الشعب صراعاً اجتماعياً ونفسياً على توالي الأجيال. فهو من ناحية لا يستطيع أن يطمئن إلى قيمه الحضرية زمناً طويلاً ، لأن الصحراء تمده بين كل آونة وأخرى بالموجات التي تقلق عليه طمأنينته الاجتماعية وهو من الناحية الأخرى لا يستطيع أن يكون بدوياً كابن الصحراء لأن الحضارة المنبعثة من وفرة مياهه وخصوبة أرضه تضطره إلى تغيير القيم البدوية الوافدة إليه لكي يجعلها ملائمة لظروفه الخاصة .

يجوز أن نصف الشعب العراقي بأنه شعب حائر ، فقد انفتح أمامه طريقان متعاكسان وهو مضطر أن يسير فيهما في آن واحد ، فهو يمشي في هذا الطريق حيناً ثم يعود ليمشي في الطريق الآخر حيناً آخر ...

طبيعة التعاكس :

من اللافت للنظر في أمر البداوة والحضارة أنهما متعاكستان في كثير من قيمهما الاجتماعية ، وهذا أمر سنعالجه بشيء من الإسهاب في مناسبة أخرى .

يكفي أن نقول : إن الهدف الأساس الذي تسعى نحوه البداوة هو على النقيض مما تسعى إليه الحضارة .

هناك ناحيتان يتضح فيهما هذا التعاكس أو التناقض بين الحضارة والبداوة : هما الدولة والاحتراف . فمن الناحية الأولى نجد البداوة ميالة بطبيعة تركيبها الاجتماعي نحو النفرة من الدولة ، ونحو التهرّب من الخضوع لها . إن العصبية القبلية في البداوة تحل محل الدولة وتقوم بوظيفتها ، فالفرد البدوي يعتز بقبيلته كل الاعتزاز ، فهي سبب بقائه وموئل كرامته ، أما الدولة في نظره فليست سوى نظام

للذل ودفع الضريبة ، ومن العار كل العار على البدوي أن يخضع لدولة تجبى منه الأتاوة وتضربه بالسوط إن امتنع عنها ، إنه يفتخر بأخذ الأتاوة من غيره ويستنكف أن يعطيها لأحد مهما كان ، إن إعطاء الأتاوة يعني في نظره الاعتراف بالعبودية والذلّ .

ومثل هذا يمكن أن نقول عن الاحتراف ، ونقصد به اتخاذ حرفة أو مهنة يكسب الإنسان منها رزقه ، بكد يمينه وعرق جبينه ، إن البدوي يعدّ الاحتراف ذلاً ومهانة، والظاهر أن لفظة «المهنة» في اللغة العربية مشتقة من المهانة ، أوهما من مصدر واحد .

إن البدوي رجل مقاتل يحترف النهب والغزو ، ويحتقر الرزق الذي يأتيه عن طريق العمل، لذا وجدناه منذ قديم الزمان يختزي أن يكون حائكاً أو صانعاً أو بقالا أو معلماً أو كاسباً أو كل ذي حرفة من الحرف التي اشتهرت بها الحضارة ، فأولئك في نظره جبناء أذلاء، ولوكان فيهم شيء من الرجولية لتركوا حرفهم الحقيرة وامتشقوا الحسام ليكسبوا به الرزق «الكريم» الذي يليق بالرجال أمثاله .

نقد وتعليق

كان علي الوردي الأول في علم الاجتماع ، يختلف مع الحكام بسبب موضوعية بحوثه، مما سببت له مشكلات ، اتهمه المتطرفون القوميون بالقطرية الضيقة لأن عنوان كتابه (شخصية الفرد العراقي) ، فهم يدعون أن الشخصية العربية متشابهة بكل البلدان العربية ، بينما كان الوردي متأثراً بمنهجية ابن خلدون في علم الاجتماع ودراسته للشخصية العراقية يمكن الإفادة منها بوصفها منهاجاً للبحث لبقية بلدان الشرق الأوسط . وبنظره أن الشخصية العراقية شخصية ازدواجية تحمل قيم البداوة وقيم الحضارة ، ولجغرافية العراق أثر بتكوين الشخصية العراقية، فالعراق بلد يسمح ببناء حضارة بسبب النهرين ، ولكن قربه من الصحراء العربية جعله عرضة لهجرات كبيرة وكثيرة عبر التأريخ آخرها قبل ٢٥٠ سنة تقريباً ، فوصف العراق بأنه بودقة لصهر البدو المهاجرين ودمجهم بالسكان الذين سبقوهم بالاستقرار والتحضر ، فتنشأ لهم قيمتان، حضرية وبدوية ، فالعراقي بقيم الكرامة والكرم والغلبة ، ولكن حياته تجبره على الانصياع لقيم التحضر.

وقد حل أغلب مناطق العراق عدا المناطق الكردية منه بسبب عدم إلمامه باللغة الكردية - حسب قوله - وبخاصة بعد عهد المماليك وفيضانات دجلة والفرات وموجات أمراض الطاعون على عهد العثمانيين ، أدت إلى هجرة أعداد كبيرة من العراقيين شرق نجد والخليج وبلاد الشام (سوريا ، لبنان ، الأردن ، فلسطين) وإلى مصر وما زالت الكثير من العوائل من الأصول العراقية محافظة على ألقابها العراقية ، وعادات المجتمع البغدادي وتقاليده المنحدرة من عهود العباسيين ، وعن المناسبات الدينية كالمولد النبوي وذكرى عاشوراء .

المناقشة

١- كيف فسَّرَ الكاتب الصراع بين البداوة والحضارة في مجتمعنا العراقي ؟
٢- ما منبع البداوة في العراق ومامصادر الحضارة فيه ؟
٣- كيف تفسر حالة المجتمع العراقي الذي هو نتاج مزدوج في بوتقة تذوب فيها قيم البداوة الآتية من الصحراء المجاورة وقيم التراث الحضاري القديم ؟
٤- حضارة العراق تنبعث من وفرة مياهه وخصوبة أرضه وغناه بالثروات المعدنية فضلاً على تراثه الثقافي وتعامله مع حضارات الأمم الأخرى . كيف يمكن أن نجعل القيم البدوية تتواءم وظروف المجتمع العراقي الخاصة ؟
٥- من أين جاءت افكار احتقار بعض المهن والحرف في مجتمعنا العراقي ؟
٦- من أين تولدت أفكار الإشادة بالصنائع والوظائف وعدها من مظاهر الفخر والاعتزاز؟

التعبير

انفتح أمام الشعب العراقي طريقان متعاكسان في القيم الاجتماعية ، قيم المجتمع البدوي الذي ينفر من سلطة الدولة ، ويعيب المهنة والاحتراف واتخاذها سبيلاً للعيش ، لأنهما يمثلان العبودية والذل ، وقيم المجتمع الحضري الذي يتمسك بإطاعة القوانين والأنظمة، ويعد الاحتراف تقدماً .

هل تؤيد أن يسير على الطريق الأول تارة وعلى الطريق الثاني تارة أخرى أم أن لديك حلاً آخر ؟

أُكتب في هذا الموضوع .

ملحمة جلجامش*

تصف الملحمة «جلجامش» بأنه : «هو الذي رأى كل شيء حتى نهايات العالم». وبامتلاكه ثلثين إلهيّين وثلثاً بشرياً آخر . وقد كان شديد البأس ، شجاعاً ووسيماً . كما كان كثير الاهتمام بمدينته أوروك . وقد أُعجِبَ البابليون بشكل خاص بالسور المتين الذي شيده حولها ؛ ربما يكون هذا السور ذلك الجدار الذي يبلغُ طوله ستة أميالٍ ، العائِد إلى عَصْرِ فَجْرِ السُّلالات ، والذي ما زال يُحيطُ بآثار مدينةِ الوركاء ولكن غطرسةَ «جلجامش» وقَسْوَتَه وفُسقَه أثارت عليه حفيظةَ مواطني أورك الذين شكوه إلى الإله الأعظم «آنو» .

فأمر الأخيرُ الإلهةَ «أرورو» بخلق «ثور وحشي» آخر «يعادل جلجامش مرتين» كي يستطيعَ تحديه ولَفْتِ انتباهِهِ بعيداً عن بنات وزوجات المحاربين والشرفاء اللائي لم يكن «جلجامش» ليتركُهُنَّ بسلام . وهكذا فقد صنعت «أرورو» من الطين البطلَ «أنكيدو» في هيئة مخلوقٍ ضخمٍ ، مُتَوحشٍ ، كَثِّ الشعر ، يعيش في السُّهوب بين البهائم المتوحشة :

- مع الغزلان يتغذى على العشب .
- ومع الضواري يتناكب في مناطق السقي .
- ومع المخلوقات المحتشدة يَسر قلبه في الماء .

وفي أحد الأيام ، يشاهد أحدُ الصيادين البطلَ «أنكيدو» من مسافةٍ بعيدة فيفهم ذلك الصياد سببَ تخريب الفِخاخ التي كان ينصِبُها وسبب هُروب الطرائدِ من يَدَيْهِ ويخبر «جلجامش» بمرآه . فيقوم الأخيرُ بِنَصْبِ كمينٍ للرجل المتوحش «أنكيدو» وإن كان من نوع آخر ، حيثُ يَعْمَدُ إلى إرسال فتاةٍ ساحرةٍ إلى السُّهوب ولَدَيْها تعليماتٌ بإغْواءِ «أنكيدو» وتحويلِهِ إلى شَخْصٍ مُتحضرٍ ، ولم تُواجه البَغي كبيرَ عَناء في تنفيذِ الجزْءِ الأول من مَهَمَّتِها . ثم تأْخذُ بيديهِ و «كأنها أمه» وتقودهُ إلى أوروك حيثُ يتعلّم الاستحمام ، وتُطيّب جسدَه بالزّيت الزكيّ ، ويأكل الخبزَ ويشربُ الخُمورَ القويَّة . وعندما يسمع «أنكيدو» في أوروك بأن «جلجامش» عازمٌ على «أعماله المشينة» ذلك اليوم في المبغى ، يسارع بالتَّصَدّي له ببسالةٍ فائقةٍ .

---

* العراق القديم : جورج رو ، ترجمة / حسين علوان حسين .

ويجري عَقِبَ ذلك عِراكٌ مريعٌ بين البطلين ينتهي بتبادُلِ كلمات الإعجابِ المتبادل وحلول السلام بينهما ، وبعد أن يعثر «جلجامش» على رفيقٍ له من منزلتهِ «يُقبلُ البطلان بعضَهما الآخر ويصبحان صديقَيْن» .

ولكن «جلجامش» المتحمسَ والطموحَ ، يرغَبُ في نيلِ الشهرة العريضة فيقنع «أنكيدو» بمرافقتهِ إلى «غابة الإرز» الواسعة الشاسعة حيث يسكن العملاقُ المخيفُ «خَواوا» (أو خمبابا) «الذي يمتلك فماً من نارٍ ونفساً من موت» . وبعد أن أعدّا أسلِحتَهما وابتهلا للآلهة ، يغادرُ الصديقان أوروكَ . ولم يستطع البطلان بلوغ «غابة الإرز» في لبنان إلا بعد قطع مسافة تحتاج ، في الأحوال الاعتيادية ، إلى ستة أسابيعَ كاملة ، في ثلاثة أيام فقط حيثُ :

- وقفا ساكنين وأمعنا النظرَ في الغابة
- وشاهدا شُموخَ أشجار الإرز ...
- فمن على وجه الجبال
- ارتفعت اشجار الإرز فخمة سامقة
- عامرة ظلالها ، مليئة بالحبور ....

وبعد أن أمسكا بحارسِ الغابة الغافلِ ، دَخَلَ البَطَلان المنطقةَ المحرَّمة وقام «جلجامش» بقطع الأشجارِ الواحدةِ بعدَ الأخرى ، عندئذٍ خَرَجَ «خواوا» غاضباً وكاد يفتك بالمغامرين لولا إسعاف الإله «شمش» لهما بإرسالهِ «الرياح الثمانية» كلها ضِدّ «خواوا» فسبّبتْ له الشَّلَلَ التَّامّ .

وبعد استسلامه للبطلين ، يَلْتَمِس «خواوا» منهما مُتضرّعاً الإبقاءَ على حياتهِ غير أنّهما لا يُصْغِيان لِتَوسّلاته بل يَقْطعان رأسَهُ ويعودان إلى أوروك ظافِرَيْن .

عَقِبَ هذا الانتصارِ الكبيرِ ، تقعُ «عشتار» بِحُبّ «جلجامش» فَتَعرِضُ عليه الزَّواج، إلا أنّ «جلجامش» يرفضُ عَرْضَها ويذَكّرُها بضروبِ جُحودِها لِعُشّاقِها السّابقين - ابتداءً من «تموز» الذي «حكمت عليه بالنّحيب سنةً بعد أُخرى» إلى الراعي والمزارع اللذَيْن حوّلَتْهُما إلى ذئبٍ وعَنْكبوت ، ويَشْتُمُ «جلجامش» «عشتار» راميا إيّاها بأقْذَع النُّعوت:

- لَسْتِ إلا مِنفاخاً يعملُ في البَرد .
- باباً خلفيةً لا تمنعُ الصّاعِقةَ ولا الريّح
- قِرْبةَ مـاءٍ تُملأُ مـن قِبَلِ حامِلِها
- فَرْدَةِ حِذاءٍ تُوجِعُ قَدَمَ صاحِبِها !

وبسبب الإهانة المُرَّةِ هذهِ ، تَطلبُ «عشتار» من «آنو» إرسالَ «ثور السّماء» لِيَغْتَصِبَ أوروكَ ، فيفعلُ عظيمُ الآلهةِ ذلك . وبعد أن يَطرحَ الثّور الرجالَ أرضاً ، الواحدَ تُلْوَ الآخر، يُمْسِكُ به « أنكيدو» من قُرونهِ ويَطْعَنُه «جلجامش» بالسّيف في عُنُقِهِ ، بينما كانت «عشتار» تَصبُّ لَعناتِها على حاكمِ أوروكَ ، يقطعُ «جلجامش» فَخْذَ الحيَوانِ الأيمن ويقذفُهُ بِوَجْهِها .

كانت هذهِ الوقاحةُ أكبرَ من أن تَتْركَها الآلهةُ تَمُرُّ من دون عقاب ، فَتُقرّر وجوب القضاء على أحد البطلين ، وهكذا يصابُ «أنكيدو» المنكودَ الحظِّ (الذي تقعُ عليه القُرعةُ) بمرضٍ عُضالٍ يَدِبُّ في جَسَدِه فترةً طويلة ، فيستعرضُ ذِكرياتِهِ وأعماله السابقةَ ويَلعنُ البَغْيَ التي أغْوَتْه ، ثُمَّ طَفِقَ يَحلمُ بالعالمِ الأسفلِ المعتم حتى قضى نحبه . فيحزن «جلجامش» على فراق رفيقه حزناً شديداً مدة سبعة أيام بلياليها «حتى نزلَتْ دودةٌ من أنفه» .

أثَّرَ موتُ «أنكيدو» كثيراً في نَفْسِ «جلجامش» ملك أوروكَ الشُّجاعِ الطّموح إذ أدركَ لأولِ مرة رُعْبَ الموتِ كامِلاً . فراحَ يتساءلُ : هل يُمكِنُ أن يَخْتفي هو مِثْلَما اختفى صَديقهُ المخلِصُ «أنكيدو» ؟ أم هل أنّ بِوسعِه تخطي المصير المرعب للبشر؟ :

- خائفاً من الموت أجوبُ السُّهوب ،
- وقد أقضتْ مصيبةُ أخي مضجعي
- كيف أستطيعُ السُّكوتَ وكيفَ أبقى ساكناً ؟
- صديقي الذي أُحِبُّ عادَ إلى الطين ،
- هل يَتوجَّبُ ، عليَّ أنا أيضاً ، أن أرقدَ مِثلَه
- كي لا أستيقظ أبد الآبدين ؟

ويُقرر «جلجامش» بعدئذٍ مقابلةَ «أوت - نابشتم» ، وهو الرجُلُ الوحيدُ الذي بقي حياً بعد الطوفان ، لِيَحْصُلَ منه على سِرِّ الخُلود . وكان عليه ، للوصول إلى «أوت - نابشتم» أن يجتازَ أولاً جبلَ «ماشو» وهو جبلُ «مَغيبِ الشمسِ ، الكبيرِ، المعتم» الذي يَحْرُسُ مدخلَهُ «رجالُ العقرب» ، غير أنّ «رجالَ العقرب» هؤلاءِ يَرِقّون لِحالِهِ عند مرآهُ فَيسمحون له بالدخول . وعلى الجانبِ الآخرِ من الجَبل ، يقابل «جلجامش» فتاةَ الحانةِ « سيدوري» التي تعيشُ «على حافةِ البَحرِ» وتنصحُهُ «سيدوري» بالكَفِّ عن الحُزن والتَّجوال ، وتُحبّب له الإستمتاعَ بلذائذِ الحياةِ ، ولكنها تتأثر أخيراً بِحُزْنِهِ العميقِ ، فَتُرشِدُه في النهاية إلى مكان «أوت - نابشتم»

الذي يسكنُ الجانبَ الآخرَ من بَحْرٍ كبيرٍ خطير تمنعُ ، «مياهُ الموتِ» البشرَ عَنْ بُلوغهِ . ولم يَتردّدْ بطلُنا، فيعبرُ البحرَ بمساعدةِ النّوتي «أورشناب» ويظفرُ أخيراً بمقابلةِ «أوت- نابشتم» الذي يروي لهُ قِصَّتهُ وهي قصة الطوفان . ولكنْ هل بمقدور «أوت - نابشتم» مساعدةَ «جلجامش» في الحصولِ على وطَرِهْ ؟ نعم ، بالتأكيد. فما عليه إلا أن يَحصُلَ على نباتٍ شوكّي معيّن ينمو في أعماقِ المحيطِ ، يُدعى «نباتَ الحياةِ» فَيضْمن خلودَهُ . ويقومُ «جلجامش» مثلَ الغطاسين العرب في الخليج الآن، بِشَدِّ الأثقالِ في قَدميهِ ويغورُ في لُجَّة البَحْرِ عميقاً فيلتَقطُ النباتَ الموعودَ ، ولكن ، واأسفاه! فبينما هو عائِدٌ إلى مملكَتِهِ ، تأخذ «جلجامش» سِنَةٌ من النوم قُرْبَ ينبوعِ ماءٍ فَتخْرجُ مِنْهُ أفعى تَسْرُقُ من «جلجامش» النَّباتَ الثَّمينَ ، فَيخسَرُ الأخيرُ خلودَ الحياةِ رغمَ تَجَشُّمِهِ الصعابَ والأهوالَ . وفي النهاية ، تُخْتَتَمُ القِصّةُ بخاتمةٍ مُتَشائمةٍ مثلَ تَشاؤمِ حَديثِ «أوت - نابشتم» إلى «جلجامش» :

- هل نبَقى ابداً نُشيدُ المنازلَ ؟
- وهل يدأب النّهرُ إلى الأبد بالارتفاع جالباً الفيضانَ ؟
- وتَستَمِرّ اليعسوبُ في تَركِ صَدَفَتِها
- كي يختلِسَ وجهها النَّظر إلى طلعةِ الشمس .
- فمنذ الأيام الخَوالي ما كان هناك أَيُّ دوامٍ ؛
- وكم يتشابهُ النائمون مع الموتى !

معاني المفردات

الضَّواري : السباع ، المفترسات المتوحشة .
إغـــواء : مصدر فعل غويَ ، إغراء.
شـــموخ : مصدر فعل شَمَخَ . ارتقاء.
أشجار الإرز : تكثر في لبنان .
الحــبور : السعادة والفرح .
يجـــوب : يتجول .
أرقُـــــدُ: أنام نوماً عميقاً .

الشرح والتعليق

ماقرأناه ملخّصٍ لِقصةِ جلجامش التي فقدت - للأسف الشديد - أريجها الشعري عُثِرَ عليها مكتوبةً في اثني عشر لوحاً من الطين .

وتعد هذه الملحمة أكثر ملاحم الشرق شهرة ، وطبعت لها طبعات عدة ، آشورية- بابلية، وترجمت منذ القدم إلى اللغات الحية ، لروعتها ولموضوعها الإنساني .

وجلجامش البطل أسطورة خيالية ، لكن ماذا عن جلجامش الملك ؟تتوافر الآن الأسباب المؤكدة على أن ملكاً بهذا الاسم قد حكم فعلاً مدينة أوروك .

إن القسم الخاص بجلجامش وصديقه - أنكيدو - من الملحمة ، يمثل جزءاً من حكاية شبه كاملة فنياً ، والذي يهمنا مضمون هذه الحكاية الأسطورية ، فثمة ملك عراقي قاس ، لايكتفي بامتهان شعبه ، بل يسعى إلى أن يرتقي من مصاف البشر إلى مصاف الآلهة ، عبر السعي للفوز بسر الخلود من - أوت - نابشتم - وهو سعي يائس ومستحيل ، تخبره (سيدروي) فتاة الحانة بتلك الاستحالة ، وتنبهه إلى كنز يمتلكه ، وهو الاستمتاع بلذائذ الحياة ، ثم تضطر إلى إرشاده إلى مكان - أوت- نابشتم - الذي يدله على نبات يضمن خلوده ، فيحصل عليه ، لتسرقه الأفعى وتنهار أحلام جلجامش الأُلوهية .

وهكذا يبقى البشر بشراً ، والآلهة آلهة ، والحكاية على هذا النحو ، تعد درساً تأديبياً لجلجامش الملك الجبار ، ولأية سلطة تطمح إلى أن تكون شاملة ومستبدة .

المناقشة

١- بنى جلجامش مدينته السياسية عاصمة أوروك ، فأثار إعجابَ البابليين بعمرانها وبخاصة سورها العظيم ، فلماذا انزعج منه شعبه ؟
٢- كيف تم وجود (أنكيدو) ؟ وكيف وصف الشاعر يومياته ؟
٣- إلامَ انتهى قرار جلجامش في مواجهة أنكيدو ؟
٤- سعى جلجامش إلى الخلود ، وهو بشر كيف ترى هذا السعي ؟
٥- في الأسطورة درس في أهمية اتحاد المجتمع ضد القوى العدوانية الشريرة .. حدده .
٦- ما العبرة التي نأخذها من هذه الملحمة بالنسبة إلى الفرد والمجتمع والسلطة الحاكمة.

التعبير

لاتظن أن إنساناً منحه الله السلطة والمال ، سيطمح إلى أن يكون إلهاً ، إلّا إذا كان شريراً، وغير عاقل ، من مثل فرعون وأمثاله في التأريخ . ناقش هذه المقولة في ضوء سعي جلجامش إلى الخلود كالآلهة على الرغم من كونه ملكاً على شعب أوروك العراقي ، ومن خلال مناجاته صاحبة الحانة - سيدوري - على النحو الآتي:

وأردف جلجامش قائلاً لصاحبة الحانة : [1]
آه ! لقد غدا صاحبي الذي أحببت تُراباً
وأنا ، سأضطجعُ مثله فلا أقوم أبد الآبدين .
فيا صاحبةَ الحانة ، وأنا أنظرُ إلى وجهكِ
أيكونُ في وِسْعي ألا أرى الموتَ الذي أخشاه وأرهبه ؟
فأجابت صاحبةُ الحانة جلجامش قائلة له :
- إلى أينَ تسعى يا جلجامش
- إن الحياة التي تبغي لن تجد
- حينما خلقت الآلهة العظام البشر
- قدّرت الموت على البشرية ،
- واستأثرت هي بالحياة
- أما أنت ياجلجامش فليكن كرشك مملوءاً على الدوام
- وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك
- واجعل ثيابك نظيفة زاهية
- ودلل الصغير الذي يمسك بيدك ، وأفرح الزوجة التي بين أحضانك
- وهذا هو نصيب البشرية .

---

(١) ملحمة جلجامش . طه باقر / منشورات وزارة الإعلام ١٩٧٥م .

النثر العلمي

المجَرَّة

للكاتب المصري : د . أحمد زكي*

مَجَرَّتُنا هي ما يملأُ أعْيُنَنا مِنْ نُجوم السَّماءِ ليلاً ، وتسألُ : أينَ سائِرُ المجَرّات؟ والجَوابُ: إن الذي تملأُ بهِ عَيْنَكَ ليلاً من نُجوم السَّماءِ ، إنّما هُوَ نُجومُ مَجَرّتنا أما سائِرُ المجَرّات ، وهيَ الأكثرُ ، وهي من حيثُ الوجودُ العالميُّ هي الأغلبُ ، حتى نكادُ نقولُ إنَّها الكُلُّ ، هذه المجرّاتُ لايَرى الناظر مِنها بالعينِ المُجرَّدَةِ غيرَ ثلاث.

ومَجَرَّتُنا دَرْب التبانة ، تتألَّفُ من مَجْموعاتٍ شتّى من النُّجومِ كُتْلَتُها تبلُغُ نحو مئةَ ألفِ مليونِ شمسٍ .

أما شكلُ مجرتِنا فشكلُ الرّغيف ، استدارةً وتقبُّباً. في أوسَطِها نواةٌ سميكةٌ وهي تدورُ بنُجومِها حولَ مِحْوَرٍ عَمودِيٍّ على أوْسَطِ النَّواةِ فَتَتّخذ شَكلاً حلزونيّا لَهُ جناحانِ.

وطولُ مجرتِنا من طرفٍ إلى طرفٍ يبلُغُ نحو مئةَ ألفِ سنةٍ ضوئيةٍ ، وسُمْكُها يبلُغُ عشرينَ ألفَ سنةٍ ضوئية .

وشَمْسُنا تقعُ من هذه المجرةِ على بُعْدِ نحوِ خمسةٍ وعشرينَ ألفَ سنةٍ ضوئيةٍ من مركزِها. إذن فالمجرَّةُ تحيطُ بشَمْسِنا وبأرضِنا إحاطةً تامةً ، فإذا أنتَ نظرتَ من سطحِ الأرضِ إلى السماءِ ، في ليلةٍ ظلماءَ ، لا ترى مِنَ المجّرة ، من نُجوم السماءِ إلا بَعْضاً . وبعضُها الآخر من الناحيةِ الأُخرى من الأرضِ ، وأنتَ في شمالِ الأرضِ لا ترى من السماءِ نجوماً يراها الناسُ مِنْ سُكان جَنُوب الأرض .

---

* ولد أحمد زكي بمدينة السويس عام ١٨٩٤ ونشأ بالقاهرة ، حيث درس هناك. وعمل مدرساً لأربع سنوات ثم سافر إلى إنجلترا ، واصل دراسته في جامعات لندن وليفربول ومنشستر ، وحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم عام ١٩٢٨ . عاد إلى مصر واشتغل بوظيفة استاذ بجامعة العلوم بالقاهرة وصار عميداً لها . وفي عام ١٩٥٨ عين رئيساً لتحرير مجلة - العربي - في الكويت ، جمعت مقالاته في مجلد سمي (في سبيل موسوعة علمية) الذي اقتطفنا منه هذا النص .

التعليق النقدي

النثر العلمي أداة تبليغ العلوم العلمية والفنية ، والحقائق الكونية ، بترتيب الأفكار ترتيباً متدرجاً بأسلوب يخلو من الخيال والمجاز والمرادفات والأضداد . وغايته إيصال الأفكار إلى السامع أو القارئ بسهولة ومن أقرب طريق .

وأحمد زكي تناول مسألة علمية خالصة ، تتعلق بالكون ، أطلق عليه اسم (درب التبانة)، استعار الكاتب ألفاظاً علمية دقيقة واضحة ، ومصطلحات مثل (مجرة، سنة ضوئية، نواة سميكة ، محور عمودي ، شكلاً حلزونياً) واعتمد عبارات لا تحتمل التأويل ولا تقبل تفسيراً آخر ، ثم استعان بالأرقام لتقدير المسافات ، ولم يستعمل خياله ومجازاته، ولم يلجأ إلى التضاد والترادف من المحسنات البديعية .

إن اعتماد الكاتب على الأسلوب الخبري ، كان بسبب كونه أقرب إلى وصف ظواهر الكون وشرح الحقائق العلمية ، لذلك تميزت جمله بالسهولة والبساطة، لماذا؟ لأن الكاتب لم يوجه كلامه أو شرحه إلى متخصصين بعلوم الفلك ، وإنما يخاطب القرّاء عامّة ، لذا نرى العلماء في أي علم يعتمدون اللغة التي تعج بالمصطلحات العلمية التي يجهلها الناس من غير العلماء .

لقد أُلِفت كتب كثيرة في الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والبلاغة والعروض والتأريخ وعلم الفلك والكيمياء ، والرياضيات والهندسة ، وابتعد مؤلفوها عن الأساليب الأدبية والفنية بنحو متفاوت ، من ذلك ما ألفه محمد بن موسى الخوارزمي في الرياضيات ، وأبو بكر بن البيطار في الطب ، وابن خلدون في الاجتماع والمقريزي في التأريخ ، وجلال الدين السيوطي في التفسير ، وجابر بن حيان في الكيمياء وابن سينا في الطب ومحمد بن جرير الطبري في التاريخ، والبيروني في علم الفلك، وألف بعضهم الموسوعات العلمية مثل كتاب (نهاية الأرب) للنويري وكتاب (صبح الأعشى) للقلقشندي ، و(معجم لسان العرب) لابن منظور .

وفي العصر الحديث ، وجد المترجمون صعوبة في إيجاد ما يقابل المصطلحات العربية، بسبب الإقبال على ترجمة أمهات الكتب في شتى الفنون والعلوم ، فأنشئت المجامع اللغوية التي سهلت استيعاب العلوم ، وحركة الترجمة ، من اللغات الأجنبية إلى العربية أو بالعكس .

المناقشة

١- ماذا تحتوي المجرَّة ؟
٢- أيَّ مجرّةٍ تنتمي إليها النجوم التي نشاهدها في السماء ؟
٣- هل يستطيع الناظر منا أن يرى مجرّات غير مجرّتنا ؟ ولماذا ؟
٤- ماتقدير عدد نُجوم مجرّتنا وما شكلها ؟
٥- ما تقدير المسافة بين نواة المجرّة وبعدها عن شمسنا ؟
٦- ما الفائدة من هذا النص وما غرضه ؟
٧- هل التزم الكاتب أحمد زكي بالموضوعية ، أم أنه أطلق العنان لخياله ؟
٨- أُذكر أسماء الكواكب والنجوم التي درست عنها ضمن المجموعة الشمسية.

التعبير

أُكتب بحثاً في أحد الموضوعات التالية مقلداً أسلوب الكاتب أحمد زكي :
١- ظاهرة تكوّن السحاب والمطر .
٢- تتبع لقمة طعام من دخولها في الفم حتى الأمعاء الغليظة .
٣- ظاهرة حدوث الليل والنهار .
٤- عملية التركيب الضوئي (صنع الغذاء) في النبات .

أيّام طه حسين



د . طه حسين*

كانَ من أول أمره طُلْعَةً[1] لا يحفِل بما يَلْقَى من الأمر في سبيل أن يستكشفَ ما لا يعلَم. وكان ذلك يُكلفهُ كثيراً من الألم والعَناء . ولكن حادثةً واحدةً حدّت مَيْلَهُ إلى الاستطلاع، وملأت قلبَهُ حياءً لم يُفارقه إلى الآن ، كان جالساً إلى العَشَاء بين إخْوته وأبيه ، وكانت أُمُّهُ كعادتها تُشْرِف على حَفْلَة الطعام ، تُرشد الخادم وترشد أخَواته اللاَّئي كُنَّ يُشاركن الخادمَ في القِيام بما يحتاج إليه الطاعمون . وكان يأكلُ كما يأكلُ الناس ، ولكن لأمرٍ ما خَطَرَ له خاطرٌ غريب ! ما الذي يقعُ لو أنّه أخذ اللُّقمةَ بكلتا يديه بَدلَ أنْ يأخذَها كعادته بيد واحدة ؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة ؟ لاشيء. وإذن فقد أخذ اللُّقمة بكلتا يديه وغمسها من الــطَّبق المشترَك ثم رفعها إلى فمه . فأمَّا إخوته فأغرقوا في الضَّحِك[2] وأمّا أُمُّهُ فأجهشت بالبكاء[3]، وأما أبوه فقال في صوت هادئ حزين : ماهكذا تؤخذ اللُّقمة يابُنَي ... وأمَّا هو فلم يعرِف كيف قضى ليلته .

---

* ولد الأديب طه حسين عام ١٨٨٩م بقرية في صعيد مصر ، فقد بصره في صغره، حفظ القرآن الكريم في كُتَّاب القرية ، ودرس في الأزهر ، ثم في الجامعة الأهلية حيث نال شهادة الدكتوراه ، عن أبي العلاء المعري سنة ١٩١٤م ، وحصل من جامعة السوربون بفرنسا على دكتوراه الدولة عن ابن خلدون ، اشتغل مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية وعميداً لها ، وعيِّن مستشاراً لوزارة التربية ثم وزيراً ، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية توفي سنة ١٩٧٣م، له أكثر من ثمانين مؤلفاً في الأدب والنقد والتأريخ والسياسة، وأشهر كتبه (الأيام ، حديث الأربعاء ، على هامش السيرة ، الفتنة الكبرى، مع أبي العلاء ، ، مرآة الإسلام) .

(١) طلعة : كثير التطلع ، ولا يحفل بالشيء : لايبالي به .
(٢) أغرقوا في الضحك : بالغوا فيه .
(٣) أجهشت بالبكاء : همّت به وتهيأت له .

من ذاك الوقتِ تقيّدت حركاته بشيءٍ من الرّزانة والإشفاق والحياء لاحَدَّ له ، ومن ذلك الوقت عَرَفَ لنفسه إرادةً قويّة . ومن ذلك الوقت حَرَّمَ على نفسه ألواناً من الطعام لم تُبَحْ له إلا بّعد أن جاوز الخامسة والعشرين . حَرَّم على نفسه الحسَاءَ والأُرْز وكُلَّ الألوان التي تُؤْكَل بالملاعق ؛ لأنّه كان يعرفُ أنّه لا يُحْسِنُ اصطناعَ المِلْعَقة ، وكان يَكْرَهُ أن يضحَك إخْوته ، أو تبكي أُمُّهُ ، أو يُعَلِّمه أبوه في هدوء حزين .

هذه الحادثة أعانته على أن يَفْهَمَ حقاً مايتحدّث به الرُّواة عن أبي العَلاء من أنه أكل ذاتَ يوم دبْساً . فسقَط بعضُه على صدره وهو لا يدري ، فلما خرج إلى الدَّرْس قال له بعضً تلاميذه : ياسيّدي أكلتَ دبساً ؟ فأسرع بيده إلى صدره وقال : نَعم قاتل الله الشَّرَهَ ! ثم حَرَّمَ الدبس على نفسه طَوَالَ الحياة .

وأعانته هذه الحادثة على أن يَفْهَمَ طَوْراً من أطوار أبي العلاء حقَّ الفهم . ذلك أن أبا العلاء كان يتستَّرُ في أكله حتى على خادمه.

فَهِمَ صاحبنا هذه الأطوارَ من حياة أبي العلاء حقَّ الفهم ؛ لأنّه رأى نفسه فيها . فكَمْ كان يتمنَّى طِفْلاً لو استطاع أن يخلو إلى طعامه ، ولكنَّه لم يكن يَجْرُؤ على أن يُعْلِنَ إلى أهله هذه الرغبة . على أنَّه خلا إلى بعض الطعام أحيانا كثيرة ، ذلك في شهر رَمضان وفي أيام المواسم الحافلة ، حين كان أهلُهُ يتخذون ألواناً من الطعام حلوةً ، ولكنها تُؤْكَلُ بالملاعق ؛ فكان يأبى أن يُصِيبَ منها على المائدة . وكانت أُمُّهُ تَكْرَهُ له هذا الحِرمانَ ، فكانت تُفْرِد له طبقاً خاصاً وتُخْلي بينه وبينه في حُجْرة خاصة ، يُغْلقها هو من دونه حتى لا يستطيع أحدٌ أن يُشْرِفَ عليه وهو يــأكلُ .

هذه الحادثة أخذَتْه بألوانٍ من الشِّدَّةِ في حياته ، جعلته مضربَ المثل في الأُسرة وبين الذين عَرَفوه حين تجاوز حياة الأُسرة إلى الحياة الاجتماعية . كان قليلَ الأكل لا لأنه كان قليلَ الميل إلى الطعام، بل لأنّه كان يخشى أن يوصف بالشَّرَهِ أو أن يتغامز عليه إخوته . وقد آلمه ذلك أوّلَ الأمر ، ولكنه لم يلبث أن تعوّده حتى أصبح من العسير عليه أن يأكلَ كما يأكل الناس . كان يُسرفُ في تصغير اللّقمة ، وكان له عَمٌّ يَغيظه منه كلما رآه فيغضَب وَيَنْهَرهُ[1] ويُلِحُّ عليه في تكبير اللُّقمة ، فيضحك إخوته . وكان ذلك سبباً في أن كره عَمَّهُ كُرْهاً شِديداً . كان يستحي أن يشرَبَ على المائدة مخافَةَ أن يضطرب القدحُ من يده، أو ألّا يُحْسِنَ تناولَهُ حين يقدَّم إليه ، فكان طعامه جافاً ماجلس على المائدة ، حتى إذا نَهَضَ عنها ليغسل يديه من حنفيَّةٍ كانت

---

(١) ينـــهره : يزجره.

هناك شرِب من مائها ما شاء الله أن يشرَبَ . ولم يكن هذا الماء نقيّا ًدائماً ولم يكن هذا النوع من رَيِّ الظمأ ملائماً للصحة ، فانتهى به الأمرُ إلى أن أصبح ممعوداً[١] وما استطاع أحد أن يعرف لذلك سبباً .

ثم حَرَّمَ على نفسه من ألوان اللَّعب والعبث كُلَّ شيء ، إلا مالايكلِّفه عناءً ولايُعَرِّضه للضحك أو الإشفاق . فكان أحبُّ اللعب إليه أن يجمع طائفة من الحديد وينتحي[٢] بها زاوية من البيت فيجمعها ويفرّقها ويقرَع بعضَها ببعض ، يُنفِقُ في ذلك ساعاتٍ حتى إذا سئمه وقف على إخوته أو أترابه وهم يلعبون ، فشاركهم في اللعب بعقله لا بيده. وكذلك عرف أكثر ألوان اللعب من دون أن يأخذ منها بحظٍّ . وانصرافُهُ هذا عن العبث حبَّب إليه لوناً من ألوان اللهو ، هو الاستماع إلى القصص والأحاديث؛ فكان أحبُّ شيء إليه أن يسمع إنشادَ الشاعر ، أو حديث الرجال إلى أبيه والنساء إلى أُمِّه ، ومن هنا تعلَّم حسنَ الإستماع . وكان أبوه وطائفةٌ من أصحابه يُحِبُّونَ القصص حباً جماً ، فإذا صَلّوْا العصرَ اجتمعوا إلى واحد منهم يتلو عليهم قصص الغزوات والفتوح ، وأخبار عنترة والظاهر بيبَرْس ، وأخبار الأنبياء والنّسَّاك والصالحين وكتباً في الوعظ والسُّنن ، وكان صاحبنا يقعُدُ منهم مَزْجَرَ [٣] الكلب وهم عنه غافلون، ولكنه لم يكن غافلاً عمَّا يسمع، بل لم يكن غافلاً عمَّا يتركه هذا القصص في نفوس السامعين من الأثر ، فإذا غَرَبَتِ الشمس تفرُّق القوم إلى طعامهم ، حتى إذا صَلَّوُا العشاء اجتمعوا فتحدَّثوا طَرَفاً من الليل ، وأقبل الشاعر فأخذ يُنشدهم أخبار الهلاليّين والزناتيّين ، وصاحبُنا جالس يسمع في أوَّل الليل كما كان يسمع في آخر النهار .

والنساء في قُرَى مصر لا يُحْبِبْنَ الصمت ولا يَملْنَ إليه ؛ فإذا خلتْ إحداهن إلى نفسها ولم تجد مَنْ تتحدث إليه ، تحدثت إلى نفسها ألواناً من الحديث فغنَّتْ إن كانت فَرِحةً ، وعدَّدت[٤] إن كانت محزونة ، وكُلُّ امرأة في مصر محزونة حين تُريد.

---

(١) ممعوداً : بمعدته داء.

(٢) ينتــحي : يقصد

(٣) أي قريباً منهم ، ومزجر الكلب : المكان الذي يزجر فيه . وذلك أن الكلب يكون حول القوم عند الطعام فينهونه بالصوت ليبعد عنهم .

(٤) التعديد: ذكر محاسن الميت. والمراد هنا: ما تلهج به المرأة من بكاء موتاها أو ذكر أشجانها.

وأحَبُّ شيءٍ إلى نساء القرى إذا خلون إلى أنفسهن أن يَذْكُرْنَ آلامهن وموتاهن فيعدَّدن، وكثيراً ما ينتهي هذا التعديد إلى البكاء حقاً . وكان صاحبُنا أسعدَ الناس بالاِستماع إلى أخَواته وهنَّ يتغنَّينَ ، وأُمِّهِ وهي تُعَدِّد ، وكان غناء أخَواته يغيظه ولا يترك في نفسه أثراً ؛ لأنه كان يجده سخيفاً لا يَدِّل على شيء . في حين كان تعديدُ أُمِّهِ يهزّهُ هزًّا عنيفاً ، وكثيراً ما كان يُبكيه . وعلى هذا النحو حَفِظَ صاحبنا كثيراً من الأغاني، وكثيراً من التعديد ، وكثيراً من جِدّ القصص وهَزْله ، وحَفِظَ شيئاً آخر لم تكن بينه وبين هذا كلِّه صلة ، وهي الأوراد التي كان يتلوها جَدُّهُ الشيخ الضرير إذا أصبح أو أمسى . ولم يكن لسانُهُ يَفْتُرُ عن ذكر الله وكان يستيقظ آخر الليل ليقرأ «وِرْد السَّحَر» ، وكان ينام في ساعة متأخِّرة بعد أن يُصلِّي العشاء ويقرأ ألواناً من الأوراد والأدعية . وكان صاحبنا ينام في حُجْرةٍ مجاورةٍ لحجرة هذا الشيخ ، فكان يسمعه وهو يتلو ، حتى حفِظ من هذه الأوراد والأدعية شيئاً كثيراً . وكان أهلُ القرية يحبُّون التصوُّف ويُقيمون الأذكار ، وكان صاحبنا يحبّ منهم ذلك ؛ لأنّه كان يلهو بهذا الذكر ، وبما يُنْشِده المنشدون أثناءه . ولم يَبْلُغ التاسعة من عمره حتى كان قد وَعَى من الأغانى والتعديد والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والأوراد والأدعية وأناشيد الصوفية جملةً صالحة، وحَفِظ إلى ذلك كلِّه القرآن.

التعليق النقدي

في هذا الفصل من كتاب - الأيام - الذي ترجم حياة الأديب الدكتور طه حسين. كشف لنا فيه جانباً مهماً من حياته ، ولعله أوضح فيه أسباباً مباشرة جعلته يرتقي درجات النبوغ في اللغة والأدب .

وأحسن ما فيه أنه كان واقعياً ، درجة أنه جعلنا نعيش معه حياته منذ أن كان طفلاً ضريراً يعاني مرارات الكفاف . ومع أنه كان فاقد البصر إلا أنه كان واسع البصيرة متقد الذكاء . فالحوادث التي واجهته بدءاً من ضحكات اخوته وسخريتهم ومروراً ببكاء أمه حناناً عليه وانتهاءً بتعليم أبيه له وحزنه عليه في أثناء هفواته عند تناول الطعام ، علمته الرزانة والحياء ، وعلمته كيف كان أبو العلاء المعري يتصرف في طعامه ، وهو الكفيف أيضاً . وربما كان انصرافه عن اللعب والعبث سبباً لتعلقه بالاستماع إلى القصص وأحاديث الرجال إلى أبيه والنساء إلى أمه . فقد كان يقرأ بأذنيه ، فقويت عنده مهارة الاستماع والتحدث ، وكان صاحبنا أسعد الناس بالاستماع إلى النساء وهن يتغنين ، وأمه وهي تعدد حزينة ، وجده الشيخ الضرير وهو يتلو الأوراد والأدعية صباحاً ومساءً ، وأهل القرية وهم يقيمون الأذكار وينشدون المدائح . كل ذلك جعله يحفظ قصص الجد والهزل ، وكثيراً من الشعر والأوراد والأدعية والأناشيد ، حتى انتهى إلى حفظ القرآن الكريم ولم يبلغ التاسعة من عمره . حقاً إن إرادة الإنسان الخيرة النبيلة تجعله لا يعرف المستحيل .

المناقشة

١- ماذا تعلم طه حسين في صغره من هفواته في تناول الطعام؟

٢- انصرف طه حسين وهو صغير عن اللعب . كيف كان يسلي نفسه ؟ وما الذي جناه جراء ذلك ؟

٣- كيف قويت مهارة الاستماع لدى طه حسين وما نتائج ذلك ؟

٤- ما العبرة التي تستلهمها من دراسة حياة الكاتب طه حسين ؟

التعبير

تستطيع أن تكتب شيئاً عن أهم الأحداث التي مرت بك في حياتك محاكياً بذلك أسلوب الكاتب طه حسين .





الجرح القديم

محمود درويش *

واقفٌ تحتَ الشبابيك
على الشارعِ واقف
درجات السلم المهجورِ لا تعرف خطوي
لا ولا الشباك عارف
من يد النخلة اصطادُ سحابة
عندما تسقط في حلقي ذبابة
وعلى أنقاض إنسانيتي
تعبرُ الشمسُ وأقدامُ العواصف

* * *

واقفٌ تحتَ الشبابيك العتيقة
من يدي يهرب دُوريٌّ وأزهار حديقة
اسأليني : كم من العمر مضى حتى تلاقي
كل هذا اللون والموت ، تلاقى بدقيقة؟
وأنا أجتاز سرداباً من الآلام
والفلفل ، والصوت النحاسي
من يدي يهرب دُوريٌّ .....
وفي عيني ينوبُ الصمت عن قول الحقيقة!

* * *

* شاعر من فلسطين . ولد عام ١٩٤٢م في قرية البروة . نزح إلى مصر ثم إلى لبنان وسافر إلى باريس ، ثم عاد ليقيم مع والدته في وطنه . حصل على عدد من الجوائز مثل جائزة لوتس عام ١٩٦٩م . توفي سنة ٢٠٠٨م . له عدة دواوين منها :

(أوراق الزيتون) و (أعراس) و (أحبك ولا أحبك) و (عصافير بلا أجنحة) و (آخر الليل) .

عندما تنفجر الريحُ بجلدي
وتكفُّ الشمس عن طهو النعاس
وأُسمّي كل شيء باسمه
عندها ابتاع مفتاحاً وشباكاً جديداً
بأناشيد الحماس
أيها القلب الذي يُحرَمُ من شمس النهار
ومن الأزهار والعيد ، كفانا !
علمونا أن نصون الحب بالكره!
وان نكسو ندى الورد غبار !

* * *

أيها الصوت الذي رفرف في لحمي
عصافير لهب
علمونا أن نغني ، ونحب
كل ما يطلعه الحقلُ من العشب
من النحل ، وما يتركه الصيف على أطلال دارِ
علمونا أن نغني ، ونداري
حبنا الوحشي ، كي لا
يصبح الترنيم بالحب مملّا !
عندما تنفجر الريح بجلدي
سأُسمي كل شيء باسمه
وأدق الحزن والليل بقيدي
يا شبابيكي القديمة

التعليق النقدي

كان الشاعر العربي القديم يقف على أطلال حبيبته ليستعيد ذكرياته معها في المكان نفسه في ذلك الزمن . هذا ما فعله الشعراء في العصور الأدبية التي خلت حتى أضحى الوقوف على الأطلال تقليداً فنياً في عصورلاحقة .
ومحمود درويش الشاعر الفلسطيني وهو شاعر حديث يعاني شعبه من معضلات

الاحتلال يقف هو الآخر ، ولكن ليس كما وقف سلفه القديم على الاطلال ، وإنما يقف تحت شبابيك المدينة ، وهناك تماثل واضح في أن الشاعرين القديم والحديث يقفان في مكان. ولكنهما يختلفان في طبيعة المكان ، فالشاعر القديم يقف على طلل وهو لا يعدو بقايا آثار ديار الحبيبة . الأمر الذي يدل على الهشاشة والتلاشي ويقف الشاعر الحديث على المدينة وتحت شبابيكها ، غير أن هناك قلقاً وهواجس بالخوف تكاد تسيطر على كلتا التجربتين .

ويبدو إحساس الشاعر محمود درويش قلقاً وهو يقف في المدينة حيث الشوارع والشبابيك .

ويوظف الشاعر الطبيعة من أزهار وطيور . ويبحر في أجواء مدينته وتبدو صور الشاعر في مقدمة قصيدته حزينة وكئيبة ولكنه سرعان ما يتمرد إذ ينتقل من الوقوف الذي يدل على انعدام الحركة ولا يسمي كل شيء باسمه ويطالب أن يتعلم ويعلم الآخر الغناء والحب كي يسمي كل شيء باسمه . وتصل درجة التحرر لديه إلى أقصاها حين يتجاوز الحزن ويدفن الليل بعده مناديا شبابيك مدينته القديمة .

المناقشة

١- ما الأسباب الشعرية التي اشتملت على الرِّكَّة والهشاشة في قصيدة محمود درويش؟وما الأبيات التي عبرت عن التمرد وتجاوز الأزمات القاسية التي يعيشها الشاعر؟

٢- برأيك . هل تابع محمود درويش الشاعر القديم (بالوقوف) على المكان أم أن هناك اختلافاً بين الموقفين ؟ حلل ذلك .

٣- ماسبب قول الشاعر «عندما تنفجر الريح بجلدي»؟

٤- لم يصف الشاعر في مطلع قصيدته الشبابيك بشيء ، ولكن وصفها في آخر القصيدة بالقديم ، لماذا برأيك ؟

الخليلُ بن أحمد الفراهيدي

عبقري من البصرة



د. مهدي المخزومي*

عرف دارسونَ بالتخصصِ في الدرسِ اللّغويّ والنحويّ ، وكان هؤلاء يمثلونَ الطبقةَ الأولى التي عرفت الدرس النحويّ بمعناه الخاص وأشهر أعلام هذه الطبقة هم :

- عبد الله بن أبي إسحاق .
- وعيسى بن عمر .
- وأبو عمرو بن العلاء .

ولم يبلغْ الدرس النحويّ ولا الدرس اللّغوي عندَ هؤلاء ما بلغاه عندَ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فقد نضجَ الدرسان في عصرهِ وعلى يديهِ خاصة ، وكان له فيهما نصيبُ المبدع المبتكر .

وكانت الحياةُ الاجتماعية في البصرة إذ ذاك حياةً جديدة تلاقت فيها الأفكار وتفاعلت فيها الحضارات ، ولم يمضِ قرنٌ من الزمان على تمصيرِ البصرة حتى كانت أكبر الأمصار ، وأحفلها بالدارسين .

وكان في البصرة مركزانِ ثقافيانِ كبيرانِ كان لهما أكبر الأثر في تطويرِ المجتمع البصري وكان لهما مشاركة لا تنكر في دفعِ الحضارة الإنسانية إلى الأمام وتطويرها ثم نشرها في الآفاق .

---

*مهدي بن الشيخ محمد صالح بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح آل زاير دهام . ولد في النجف الأشرف عام ١٩١٠م . عاش يتيماً . دخل مدرسة الغري الأهلية ودرس النحو والبلاغة. عين معلماً في سوق الشيوخ . ذهب إلى مصر ودخل بجامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٨م، ودرس الفلسفة والتاريخ. عين مدرساً في دار المعلمين العالية (كيلة التربية) ثم مدرساً في كلية الآداب والعلوم بجامعة بغداد، توفي سنة ١٩٩٣م ، ومن مؤلفاته : (مدرسة الكوفة ونهجها في دراسة اللغة والنحو) و (في النحو العربي نقد وتوجيه) و (في النحو العربي قواعد وتطبيق) و (الدرس النحوي في بغداد / أعلام في النحو العربي) و (عبقري من البصرة) و (الخليل بن أحمد الفراهيدي) .

كان أولهما : **المسجد الجامع** ،وهو الذي أُسِسَ أول الأمر ليجتمع الناس فيهِ للعبادةِ والصلاة الجامعة والاجتماعات العامة التي يدعو إليها الخليفة ، أو عمّاله في الأمصار ، لإعلان الجهاد ، والنفير العام ، وكان مسجدُ البصرة الجامع كذلك، ولكنه حال إلى منتدى للعلماء والمحدثينَ والقصاص، تنعقدُ فيه مجالس الدرس ، وحلقات القراءة والوعظ واللغة والنحو.

وثانيهما : **المِرْبَد**، وكان المِرْبَدُ كسائر أسواق العرب ، سوقاً لتبادل السلع ثم صار مثابة القبائل ، تجتمع فيه في المواسم ، ومعها خطباؤها ، وشعراؤها فيتفاخر الخطباء ، ويتناشد الشعراء ، فإذا انتهت المواسم تفرقت القبائل ، وعادت إلى مواطنها .

وكان شعراءُ الباديةِ ، وشعراء الحاضرة يختلفون إلى المِرْبَد ، فيتناشدون فيه الشعر ، ويتفاخرون فيه بمآثرهم وأحسابهم وأنسابهم ، وانتقل إليه مجد عكاظ فصار ملتقى الشعراء والرواة واللغويين والنحويين .

يلتقي فيه الشعراء ليتناشدوا ، ويتفاخروا ، والرواة ليتلقطوا الغريب والنادر من فصيح كلام العرب ، والنحاة واللغويون ليشافهوا الأعراب ، ويراقبوا اختلاف اللغات أو اللهجات.

وكان الخليلُ لا يدع فرصةً إلا افترصها في لقاء الأعراب والأخذ عنهم وإذا عرفنا أنَّ الخليلَ كان يحج سنة ، ويغزو سنة ، فإنَّ سنة الحج كانت تتيح له فرصاً كبيرة للقاء الأعراب في البوادي ، ومشافهتهم ، والإصغاء إليهم ، والإحاطة بما يستسيغونَ وما لا يستسيغونَ من تراكيبٍ لغوية ، ومفردات ، ولهجات ، وربما شملت ملاحظاته أساليبهم في التعبير وطرائقهم في الأداء .

وكان من فرطِ ذكاء الخليل وحدة ذهنه ودأبه على طلبِ العلم أنْ استوعبَ ما كان في ذينك المركزينِ من ثقافاتٍ قديمةٍ تتمثلُ في القراءةِ والشعرِ والخطبِ والأمثال وثقافات حديثة تتمثلُ في علمِ الكلامِ وأساليبه الجدلية ، وكان رائده في ذلك النهج في التعلم غاية في الدِّقة .

فلما التقت في ذهنه كل تلك الثقافات تدارسها وتمثلها ، وأمدّها بفيضِ ما لديه من نبوغ وإبداع فإذا هي عطاءٌ انسانيٌّ ضخمٌ ، ظفرَ بالعقل من طور الفجاجة إلى طور النضجٍ.

ولم يبلغ الدرس النحوي ولا الدرس اللغويّ من النضج والاكتمال مثلَ ما بلغهُ عند

الخليل فقد طفر بالنحوِ طفرة عجيبة لم يشهدْ تأريخ النحو مثلها ، وكان من مظاهر ذلك هذه المجالسات والأمالي التي تلقاها سيبويه عنه فجمعها في أول كتاب كبير في النحو ضمّ بين دفتيه نحواً كاملاً في أصوله ومسائله.

أما الدرس اللغوي فقد كانَ عندَ الخليل ينحدرُ عن فكرٍ لغويّ ناضج ، فله من أقواله وآرائه ما يشبه أنْ يكونَ نظرية تامة التكوين في نشأة اللغة وفي تطورها وفي مجلسه وقف الدارسون أول مرة على ما يسمّى الآن بعلم الأصوات اللغوية وإذا كان علم الأصوات يعدّ من منجزات العصر الحديث فإنَّ الخليلَ كان قد تناوله بالدرس منذ أكثر من اثني عشر قرناً، وتوصل إلى نتائج سليمة أقرّ الدرس الحديث كثيراً منها .

وإلى الدرس اللّغوي عند الخليل ينتهي علم الدارسين العرب بالاشتقاق وأنواعه وغيره من الموضوعات اللغوية التي تعد من موضوعات فقه اللغة الحديث.

وإلى علم الخليل باللّغة ، وإحاطته بأساليبها واستعمالاتها ، وتراكيبها ومفرداتها يرجع التفكير بالتأليف اللغويّ ، ووضع أول معجم لغويّ حاصر للغة العرب، وهو كتاب -العين -.

وكان كتابه العين مثل أي عمل أنجزه الخليل ، مثار اهتمام الدارسين ، وكان كأيّ أثر له ، موضع إعجابهم ، وكان مصدر إلهام اللغويين الذين جاؤوا بعده ، بل كان مادتهم في معجماتهم .

وإذا كانَ الخليلُ مسبوقاً بالدرس النحويّ أو الدرس اللغوي بوجه من الوجوه فإنَّ العروضَ علمه الذي لم يسبق إِليه ، ولم يشاركه أحد فيه ، ولم يزدْ عليه أحد فيه شيئاً ذا بال .

وقد تناول الخليل في هذا العلم موسيقا الشعر وأوزانه ، وكان علم الخليل بالنغم والإيقاع سبيله إلى علم العروض وكان الخليل أول من ألّف في الموسيقا ، وكان كتاباه؛ (النغم والإيقاع) مادة المؤلفين في الموسيقا.

وإلى الخليل يرجعُ كلّ ما في هذا العلم من أصول ومسائل ، ومن مصطلحات وألقاب ، وقد وضعَ ألقاب الأوزان والتفعيلات ، والعلل والزحافات ، وتواصل بفكره الرياضيّ الحاصر أنْ يحصرَ الأوزان التي قال العرب الشعر عليها ، وكانت الأوزان العربية في الشعر عنده ستةَ عشرَ وزناً ، واستخدم في الوصول إِليها دوائره العروضية الخمس وسلك في استخراج الأوزان طريقة الفك التي عرضت لها في موضعها من هذا البحث، وتأتي له من هذه الدوائر اثنان وعشرون وزناً ، ستة

أوزان مهملة لم يردْ عليها شيء من أشعار العرب وستة عشر وزناً مستعملة ، وهي الأوزان المعروفة عند العروضيين .

وقد استعظم بعض ذوي القصد السيء ، وبعض ذوي الغفلة ، وبعض المقلدين من الدارسين المحدثين أنْ يتفردَ الخليل بهذه المنجزات العلمية ، فراحوا يتخبطونَ في المزاعم تخبطاً ، ويخلطونَ في الآراء تخليطاً .

فنسبوا الدرس النحويّ إلى اليونان مرة ، وإلى السريان أخرى . وشككوا في صحة نسبة كتاب العين إليه ، فنسبوه إلى الهنود مرة ، وإلى الصينيين أخرى .

وأنكروا أنْ يكونَ علم العروض من مبتدعاته ومبتكراته ، فزعموا واهمين أنَّ العروضَ العربي ، وهو عروض الخليل ، صورة منقولة من عروض اليونان .

وكانت حجج أولئك جميعاً أوهى من خيوط العنكبوت ، فلم تصمد أمام الحقائق، ولم تثبت أمام حكم التأريخ بعظمة الفكر العربي الإسلاميّ ، وبعبقرية الخليل، فراحت تتهاوى واحدة واحدة ، فلم تنلْ بالسوء عمل الخليل في النحو ، ولا استطاعت أنْ تمحو آثاره في كتاب العين ، أو لمساته في رسم منهجه وتخطيطه ، ولا قويت على طمس آثاره في العروض، ولا وفقت إلى إخفاء الحقيقة الناطقة بعبقرية الرجل الذي آمن بالعقل هادياً ، وبالعلم مرشداً ، وبالفكر وسيلة ، وبطلب العلم وخدمة الحضارة غاية ، فنأى عن كل ما في الحياة من بهرجة ، وعن كلّ ما في نفوس الناس من جشع ، وأغلق بابه دونه حتى لا يجاوزه همّه .

ولكن النور يبقى متلألئاً ، والحقيقة سافرة ، والعبقرية تفرض نفسها على الزمان فرضاً.

من كتابه «عبقري من البصرة»

المناقشة

١- من هم أشهر أعلام الطبقة الأولى التي عرفت الدرس النحوي بمعناه الخاص والدرس اللغوي ؟

٢- ما أشهر مراكز الثقافة في تطوير المجتمع البصري ودفع الحضارة الإنسانية إلى الأمام ؟

٣- للمسجد الجامع وملتقى المربد والحج أثر كبير ودور واسع في نبوغ الفراهيدي في علم الكلام وأساليبه وإبداعه في العطاء الإنساني . كيف؟

٤- تحدث عن أهم العلوم اللغوية التي أحاط بها مشاهير النحويين والأدباء والشعراء والموسيقيين واللغويين جرّاء دراستهم لمؤلفات الفراهيدي وتتلمذهم على يده ذاكراً أهم مؤلفاته .





أنا وكُلّ النساء

للشاعرة : لميعة عباس عمارة*

أَنا أَحيا خِلالَ روحــــِكَ حَتّى
لَأرى فيـــكَ مُهجَـتي وكياني
كُلُّ شيءٍ خِلالَ روحِـــكَ حُلْوٌ
نـــاعِمُ الوَقْـــــعِ مُفعَمٌ بالحَنانِ
اَلنَّـــهارُ ابتســـــامَةٌ وطُـــموحٌ
واللّيـــالي تَمـــوجُ بالأَلــْـوانِ
ذلكَ الأَسْــــرُ ما أَلَـــذَّ عَلَيـــْهِ
أَلْفُ بــــابٍ تُطِلُّ مِنْ وِجْــداني
لَنْ تَمُـــسَّ الثَّغْرَ الّذي تَشْتَهيهِ
وهْوَ كَـــرْمٌ على شِـفاهِكَ دانِ
مُســـتَبِدٌّ وســـــاخِرٌ ونَــــديٌّ
يتمـــنّى ويَكـــتفي بالأمـــاني
أَنـــا روحٌ فَهلْ سَمِعْتَ بِروحٍ
عــانَقَتْها - فيما سمِعْتَ - يَدانِ

---

* ولدت عام ١٩٢٩م في بغداد وتخرجت من دار المعلمين العالية ، عملت مدرسة في ثانويات بغداد للبنات. وخلال ذلك كانت تمارس كتابة الشعر ونشره في الصحف الأدبية العراقية والعربية . أصدرت مجموعتها الأولى (الزاوية الخالية) عام ١٩٦٠م، وفي عام ١٩٦٣م أصدرت مجموعتها الثانية (عودة الربيع) ، ثم أصدرت مجموعتها الثالثة (أغاني عشتار) عام ١٩٦٩م . اشتغلت في أواسط السبعينات في منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة .

التعليق النقدي

الشاعرة الوديعة ، ذات الأحاسيس المرهفة الرقيقة ، تطلق أفكارها في أجواء الخيال الرومانسي ، فتحلق بها في الفضاء ، ثم ماتلبث أن تهبط لتجد نفسها على الأرض في قيود الحياة الواقعية . فتترجم أحاسيس أمثالها من النساء نحو الرجال. فتجد أن المرأة والرجل نصفان متطابقان لمخلوق واحد منذ الأزل . تفارقا فأخذ أحدهما يبحث عن نصفه الآخر . وهذه هي قصة الإنسان الأزلية . تحيا المرأة بالرجل كما يحيا الرجل بالمرأة فكل واحدة من النساء لا تشعر بكيانها إلّا إذا التقت نصفها الآخر . إذ ذاك تحسّ أنها بأمان في ظل الحنان ، فيغدو حتى كوخها في نهارها كوناً نيراً ، ويُمسي ليلها زاخراً بالألوان والأمنيات والطموح .

وتجد المرأة النهاية السعيدة في أسر الرجل وقيوده ، فتصوره الشاعرة أنه الملاذ الآمن له أبواب تطل على الجنان والأنوار .

وفي الجانب الآخر تنتشي المرأة حين تشعر أن نصفها الآخر يؤدي الدور نفسه، ويبادلها المشاعر نفسها ، ويظل يتطلع إلى تلك التي تسعده في حياته ويسعدها . فهي دنيا الأرواح التي تتعانق بأيدي الحب ، ولو لم تتعانق أيادي الأجساد .

هذا المزاج بين الرومانسية والواقعية تميز به شعر شاعرتنا لميعة ، مُتمثلاً بقصيدتها (لو أنبأني العراف):

لو أنبأني العرّاف
أنك يوماً ستكونُ حبيبي
لم أكتب غزلاً في رجلٍ
خرساءَ أصلّي .. لتظلّ حبيبي
لو أنبأني العرّاف
أنّ حبيبي في الليل الثّلجيّ
سيأتيني بيديه الشّمسْ
لم تجمُدْ رئتايَ
ولم تَكبُرْ في عينيَّ همومُ الأمسْ

المناقشة

١- ترجم أحاسيسك وأنت تقرأ شعر الشاعرة لميعة .
٢- هل تؤيد الشاعرة في مزجها الخيال مع الواقع ؟ ولماذا ؟
٣- لِمَ تعد الشاعرة دخول المرأة في كنف الرجل أسراً لذيذاً ممتعاً ؟
٤- ما إجابتك عن تساؤل الشاعرة في البيت الأخير في قصيدتها ؟

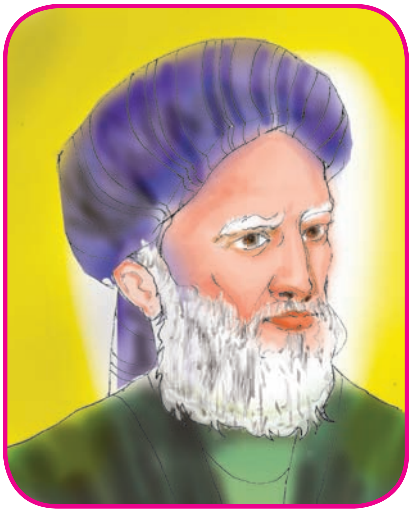
التعبير

الأدب يربي القلب ، والأم تربي العواطف والأحاسيس. وهل يحيا القلب ويعيش من دون أن ينبض بالعواطف والأحاسيس ؟ اُكتب ما توحي إليك هذه الأقوال من أفكار .

الرسالةُ التأديبيّة

للإمـام الغــزالي *

يقولُ الإمامُ محمدْ بن محمد الغزالي الطوسي (رحمهُ الله) :



إن هِشاماً الأَصمّ كانَ من أصحاب شفيق البلخي - رحمةُ الله عليهما- فسألَهُ يوماً فقال : صاحَبْتَني منذُ ثلاثينَ سنةٍ ، ما حصلتَ فيها ؟

فقال هِشام : حصلتُ ثماني فوائد من العِلْم وهيَ تكفيني منه لأني أرجو خلاصي ونجاتي فيها :

الفائدة الأولى : إنّي نظرْتُ إلى الخلق فرأيتُ كُلَّ واحدٍ منهم له محبوب يُحبُّهُ ويعشَقُهُ وبعض أولئك المحبوبين يصاحبُهُ إلى مرضِ الموت والآخر إلى شفير القبْر ، ثم يرجعون جميعاً ويتركونَهُ وحيداً ، ولا يدخُلُ معهُ في قبرهِ أحد... فتفكّرتُ وقُلتُ : أفضلُ محبوب المرء ما يدخُلُ معه في قبرهِ ويؤانِسهُ فيهِ ، فما وجَدْتُهُ في غير الأعمالِ الصالحة، فاتّخذتها محبوباً، لتكونَ لي سراجاً في قبري وتؤانسني فيه ، ولاتتركني وحيداً .

---

*هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي . ولد بقرية (غزالة) من طوس في إقليم خراسان عام (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) من أب كردي صوفي . درس على يد الأعلام في الفقه مثل الإمام أحمد الرازكاني وأبي نصر الاسماعيلي ، التحق بالمدرسة النظامية في نيسابور ، ودرس علم الكلام واصول الفقه على أبي المعالي الجويني إمام الحرمين وتفقه بأصول الدين والمنطق والفلسفة . اشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد وحضر محاضراته ابن عقيل وابو الخطاب وأعجبوا به ، ثم رحل إلى الشام . صنف كتاب الأحياء في القدس وأتمه في دمشق ووضعه على المذهب الصوفي ، توفي في جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ (١١١٣م) في مدينة طوس ، حيث أنشأ مدرسته وبها داره وبستانه.

الفائدة الثانية: إنّي رأيتُ الخلْقَ يقتدونَ بأهوائهم ، ويُبادرون إلى مُراد أنفسِهم فتأمّلتُ قولَ الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[١] وتَيقّنتُ بأنّ القرآنَ حَقٌّ ، فبادرتُ إلى خِلافِ نفسي، وتمَرَّستُ بمجاهدتها، وما مَتّعتُها بهواها حتى رَضِيَتْ بطاعةِ الله سبحانه وتعالى- وانقادت.

الفائدة الثالثة : إنّي رأيتُ كُلَّ واحدٍ يَسْعى في جمْعِ حُطامِ الدُّنيا ثُمَّ يُمسِكُهُ قابِضاً بيديهِ عليهِ!! فتأمّلتُ قولَهُ تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾[٢] . فلُذتُ بالإيثَارِ ، واستودعْتُ عند الله إعانةَ البائس ، وإسعافَ الفقير لعلِّي أُحشَرُ في ظلّ صدَقتي ، يوم يقومُ الناسُ لرب العالمين.

الفائدة الرابعة : إنّي رأيتُ بعضَ الناس ظَنَّ شرفَه وعزَّه في كثْرةِ الأقوام والعشائر. فاعتزّوا بها . وزعم آخرون أنَّه في حيازةِ أموالِ الناس وسَفْكِ دمائهم . واعتقدَتْ طائفةٌ أنَّهُ في إتلافِ المالِ وتبذيرهِ ، فتأمّلْتُ قولَ اللهِ تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[٣] فأقبلْتُ على رَبّي ونفضتُ يدي من هذه الملهيات والأباطيل..

الفائدة الخامسة : إنّي رأيتُ الناسَ يذُمُّ بعضُهم بعضاً ، فوجدْتُ ذلك من الحسدِ في الحياةِ والمالِ والعِلْم ، فتأمّلْتُ قولَه تعالى :﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٤] فعلمتُ أن القسمةَ من الله وأنّ الضيقَ بها حمق ، فما حَسَدْتُ أحداً، ورضيتُ بقِسمةِ الله تعالى.

الفائدةُ السادسة : إنّي رأيتُ النَّاس يُعادي بعضُهم بعضاً بشتّى الأغراض والأسباب، فتأمّلتُ قولَه تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾[٥] فعلمتُ أنَّهُ لا يجوزُ غيرَ معاداةِ الشيطان ، فانتصَبْتُ له وتأهّبتُ لحربهِ.

---

[١] سورة النازعات / ٤٠ - ٤١ [٣] سورة آل عمران / ١٨٥ . [٥] سورة فاطر / ٦.

[٢] سورة النحل / ٩٦ [٤] سورة الزخرف / ٣٢ .

الفائدةُ السابعة : إنّي رأيتُ كُلَّ إنسانٍ يسعى بجدِّه ويجتهد في طلبِ القواتِ والمعاش، بحيثُ يقع في شُبهةٍ أو حرامٍ ، بل قد يَذُلُّ نفسَه ، وينتقص قدره ، فتأمّلتُ قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ [(١)] . فعلمتُ أنّ رزقي على الله تعالى ، وقد ضمِنتُهُ ، فاشتغلْتُ بعبادته ، وقطعتُ طمَعي عَمَّن سواه ، وترَفَّعْتُ عن الشُّبُهات والدّنايا.

الفائدةُ الثامنة : إنّي رأيتُ كُلَّ واحدٍ يعتمِدُ على مخلوقٍ ، بعضُهم يعتمِدُ على الدينار والدراهم ، وبعضُهم على المال والملك ، وبعضهم على الحرفةِ والصناعة وبعضهم على مخلوقٍ مثله من الكُبراء أصحاب الحَوْل والطّول، فتأمّلتُ قولَه تعالى

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [(٢)] فقالَ شيخُه شقيقُ البلخي: وَفَّقَكَ الله .

التعليق

أرادَ الأستاذ أن يختبرَ تلميذه ، فوجه له السؤال : «صاحبتني منذ ثلاثين سنة ، ما حصلت فيها ؟ فأجابه بذكاء المجتهدين ، بأنه حصل على (خلاصه ونجاته) من حساب يوم الدين ، فهذا الخلاص وهذه النجاة هي قمة سعادته، الأعمال الصالحة تبدد ظلمة قبره وتؤنسه من وحشته ، وردُّ النفس عن الهوى ومجاهدتها يجنبه غضب الله تعالى من المعصية ، وعمل الصدقات وإعانة البائسين تحميه يوم الحشر وتشفع له ، وترك الركض وراء الدنيا وملاهيها تجعله يفوز بالجنة ، أما رضاؤه وقناعته بما قسّم الله له ، فيجنبه الحسد وضيق العيش. ومعاداة الشيطان والاشتغال بعبادة الخالق يحفظ له كرامته ويبعد عنه الشبهات ويضمن رزقه . والتوكل على الله سبيل النجاة وشراع سفينته إلى شاطئ السلامة والأمان والفوز بالجنة .

---

(١) سورة هود / ٦.

(٢) سورة الطلاق /٣.

المناقشة

١- هل قرأت كتاباً من مؤلفات الإمام الغزالي - رحمه الله - ؟ اذكره.
٢- ماذا يفيد المرء من القيام بالأعمال الصالحة؟
٣- ماذا يكسب الإنسان جراء مجاهدة النفس وردها عن الهوى ؟
٤- ما الذي يصيب الإنسان من جمعه الأموال بغير حق؟
٥- ما العمل الذي يحمي الإنسان ويستظل به يوم الحساب ؟
٦- ماذا يجني المرء من الركض وراء مكاسب الدنيا وملاهيها؟
٧- ماذا يعني : تمنى زوال نعمة الغير؟

التعبير

أُكتب الآيات الكريمة التي وردت في رسالة الإمام الصوفي الغزالي وتحدث عن مضامينها بإيجاز.



مُناجاةٌ معَ القَمر [1]

للشاعر الكردي : بي كه س*

أَيُّها القَمَر كِلانا مُصابٌ بألم واحد
كِلانا شيمَتُهُ - آهةٌ - واحِدَة
أَنْتَ هائِمٌ بِوَجْهِكَ الأَصْفَرِ الشّاحب في السَّماء
وَأنا مُشَرَّدٌ أَطوفُ الدِّيار
أَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ أَيُّها القَمَر
يا قِبْلَةَ العُشّاق... يا بَلْسَمَ ذَوي القُلوبِ المكلومَة
إنَّها اللَّيلة ، اللَّيْلَةَ أَنْقِذْني
لاحبيب لي ولا رَفيق
أنا وَحْدي مَهْموم
قَلْبي جَريحٌ يا بُس
مُكَبّلٌ بشِباكِ لَيْلاي العَذْبة
قَلْبي مَسْحور بعِشْقِ هذِه
ذاتِ العُيونِ الدّعْجاء
هائمٌ شَريدٌ لِهذِهِ
ذاتِ الخُصْلاتِ المُبَعْثَرة
مُنْذُ اللّحْظَةِ التي فيها وَقَعتْ في خَيالي
شيمتي البُكاءُ وَصِرْتُ كالجَمْرَةِ المُتَّقِدَة
أَيُّها القَمَرُ... أَنْتَ شُعْلَةُ الحُبّ المُقَدّس
أَنْتَ الّذي تَبْعَثُ اللَّذَّةَ في القَلْبِ العاطِف
أَسْتَحْلِفُكَ بالحُبِّ والجَمالِ ، بِنَسيمِ الفَجْرِ المُنْعش

---

[1] أَغاني كُردستان / معروف خزنه دار / صحيفة المدى ١٤ / ٨ / ٢٠٠٦م .

*هو فائق بن عبد الله بك بن كاكه حمه . ولد في السليمانية سنة ١٩٠٥ م في قرية سيتك. وتوفي سنة ١٩٤٨ م . اسمه الأدبي - بي كه س - نظم في الحكمة والتوجيه والتهكم ، وله نظم في الغزل الرقيق يصور نفسية الإنسان بأسلوب رصين، ويعد من الثائرين على تقاليد الشعر القديمة .

معاني المفردات

شـــيمة : خصلة جيدة مرغوبة .
هـــائم : اسم فاعل من هامَ : مغرم ، ضائع .
مشـــرّد : اسم مفعول من شُرِّدَ . مُزاح من مكانه أو من وطنه.
أتضرّع : أتوسّل .
بلســـم : دواء .
مُكـــبّل : اسم مفعول : مُقيّد .
جمـــرة : قطعة نار متوهجة .

التعليق النقدي

الشاعر العراقي (بي كه س) ، شاعر رومانسي (ذو خيال عاطفي حزين). يجد في قصيدته عن الحب العذري متنفساً ، وحلّاً في مفرداتها من مثل:
(آهة واحدة ، هائم ، وجهك الأصفر الشاحب ، شعلة الحب المقدس، أستحلفك بالحب، والجمال ، بنسيم الفجر المنعش).

واتخذ الشاعر (بي كه س) من الخيال العاطفي سبيلاً للخلاص من مصاب العشق. حاله حال أي شاعر رومانسي ، حينما لا يجد إنساناً يُشاطره عذابه وهمومه مع - ليلاه - فإنّه يتطلع إلى عاشق آخر أودى به ألوَلهَ ، فصار مثله ذا وجه أصفر شاحب. وجد سلواه في القمر ، يتطلع إليه في مناجاة عاطفية ، يطلب مشاركته في الآلام والمواساة في الهموم .

إنّ جمال طبيعة كردستان وجوّها يسهمان إلى حدٍّ بعيد في تغذية النزوع إلى الخيال العاطفي الحزين ، يحاكي وجدان الشاعر الكردي.

المناقشة

١- اُذكر دلالات لغوية على نزعة الشاعر (بي كه س) إلى الخيال العاطفي الحزين.
٢- ما موضوع القصيدة الواقعي الموضوعي الذي عالجه الشاعر (بي كه س) عاطفياً؟
٣- وجد الشاعر (بي كه س) في القمر شريكاً في معاناة العشق العذري . اُذكر

الأبيات الخاصة بهذه المشاركة الوجدانية .

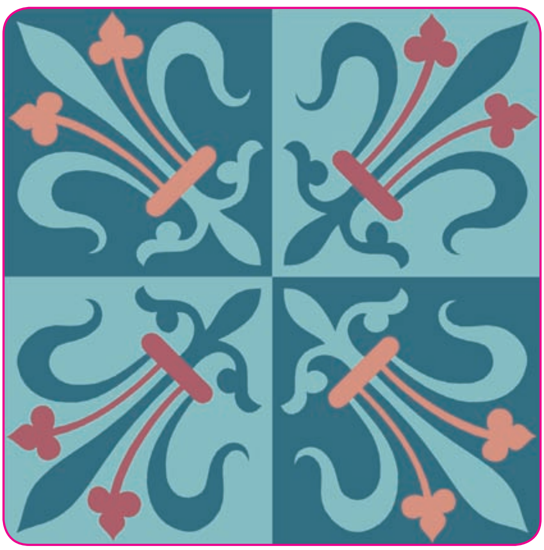
٤- ما أثر جمال الطبيعة في كردستان في نزعة شعرائها العراقيين ؟

٥- ما الذي دعا الشاعر (بي كه س) إلى مناجاة القمر وليس غيره ؟

٦- من يماثل الشاعر (بي كه س) في نزعته الشعرية العاطفية عن الحب العذري من شعراء العرب القدامى ؟

التعبير

تهدف مناجاة الشاعر (بي كه س) للقمر إلى المشاركة الوجدانية والعواطف الإنسانية. ناجِ القمر عند اكتماله بدراً بشأن تحقيق النجاح والسعادة والعمل .



المحاورات في أدب الحكمة

عند العراقيين القدامى

«تُعدُّ المحاورات التأمليّة ، دراسة أدبيّة نفسية خِصبة ، وصورة ممتعة ، هي حصيلةُ دقة الملاحظةِ ، ونفاذ البصيرةِ ، وعمق التجربةِ ... تطرقت إلى مسائل فكرية تتعلّق بالإنسان، وما تقدّرُ له الآلهة من ثوابٍ أو عقابٍ ، أو ما يتعلّق بأسبابِ النجاحِ أو الفشلِ في هذهِ الحياة . ولهذا بذلَ المفكرون والكتابُ جهوداً مكثفة لمفرداتِ مواضيعها»[١]



الملك أورنمّو يصب الماء البارد أمام الإله نَنار

اعتاد العراقيون القدامى والكثير من سكان وادي الرافدين توجيه رسائل مدونة إلى آلهتهم .. بعضها يتعلقُ بطلبِ استرحام أو مساعدة أو معاقبة ، لرفع ظلم قد أصابهُ ، أو طلب الشفاء من المرض ، كما تقرأ في الرسالة الآتية :

[١] ما قبل الفلسفة / هنري فرانكفورت وآخرون / ترجمة جبرا إبراهيم جبرا / ١٩٦٠ بغداد.

- « خاطبَ الرّبّ أباك . هذا ما يقوله خادمك - أبيلاداد :
- اُكتب إلى الإله - مردوخ- فأنت أَثير لديه ، لعله يكسر لي قيودي .
- فأرى وجهَك عندئذٍ وأُقبّل قدميك،
واذكر كذلك عائلتي كباراً وصغاراً،
- وارحمني من أجلهم ، واجعل عونك يبلُغني [١]»

وبموجب عقيدة العراقيين القدامى ، تصور أن هذا الكون تسيره منذ البدء - نواميس إلهية - لا تتمثل بعناصر الخير فقط ، ولكن بعناصر الشر أيضاً . فعنصر الشر موجود في البشر ، ويفسر ذلك المثل السومري الذي يقول : «ما ولدت امرأة قط ابناً بريئاً» . وهنا نستذكر قول السيد المسيح - عليه السلام - : «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر» [٢] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله (ﷺ) : «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

ويبقى السؤال : لماذا لا يكون الشر إذن من نصيب الأشرار والخير من نصيب الأخيار؟ وبعبارة أخرى : كيف يمكن أن يصيب البؤس والفقر والمرض شخصاً تقيّاً ورعاً ، في حين يرفل غيره من الآثمين والمعتدين بثياب السعادة وينعمون بالغنى والعيش الرّغيد؟ [٣] هنا نستذكر ما قاله أيوب :

«عندما أتذكر أرتاع وتأخذ جسدي الرعدة . لماذا يحيا الأشرار ويشيخون ويتجبرون بقواهم ؟ نسلهم قائم أمامهم وذريتهم في أعينهم - بيوتهم آمنة من الخوف وليس عليهم عصا الله» [٤] .

وخلاصة الأمر ان التقوى هي الطريق إلى النجاح والسعادة ، وأن على الإنسان أن يتوسل بالآلهة دائماً في مختلف الظروف، لأنها لابدَّ وأن تمد له يد العون آجلاً أم عاجلاً.

وهذا ما نراه في القصائد الثلاث التي تتضمن مفاهيم - العدل الإلهي - والتي نظمها أُدباء سومر وبابل وأكد وكُتّابها . وهي:

- قصيدة لأمـــتدحنّ رب الحكـــمة (منتصف الألف الثاني ق . م) احتـــــوت ٤٠٠-٤٥٠بيتاً .
- قصيدة - التقي المعذب- تتألف من ٢٨٧ بيتاً - ألفها الكاهن- ساكيل كيثم أوبيب.

---

[١] ما قبل الفلسفة/ فرانكفورت وآخرون/ترجمة جبرا إبراهيم جبرا/١٩٦٠بغداد. [٢] الكتاب المقدس.
[٣] حضارة العراق / ج١/ ١٩٨٥/ فاضل عبد الواحد علي / بغداد. [٤] الكتـــاب المقـــدس / أيوب - ٢١ - ٦- ٩.

- قصيدة - حوار بين عبد وسيده - (الألف الأول ق .م) تتألف من ٨٦ بيتاً.
ونحن نقدم بعضاً من نصوص القصيدة الأولى التي تدور حول شخص تقي ورع متعبد اسمه (شبشي مشري شكان) . كان وجيهاً تبوأ مناصب عالية في الدولة وله ثروة طائلة ، ثم تعرض للهوان ، وحلت بساحته المصائب والنكبات . فيصف آلامه وهمومه ، وأصبح منبوذاً ، وتخلى عنه الأصحاب والأقارب ، كأنه أيوب إذ تقرأ:

- لقد تخلى عني إلهي واختفى
- وخذلتني ألهتي وابتعدت عني
- وفارقني الملاك الصالح الذي كان يلازمني .
- ذهبت قوتي ، ووهنت رجولتي .
- فالٌ مخيف يحدِق بي من كل جانب .
- والملك اغتاظ قلبه مني ولم يهدأ.
- أنا صاحب المقام الرفيع صرت مثل العبد
- صديقي صار عدوي .
- وعبدي يشتمني
- أهلي يعاملونني كأني غريب.

يقول شبش:

- إنني أنا الرجل المنهوك ، عَصَفت بي ريح عاتية.
- فها هو (مرض الهزال) ينقضّ عليّ.
- وها هي (الريح الشريرة) تلوح في الأفق .
- لقد جعلت الحمى تدبُّ في أطرافي وجعلت بدني يرتجف.
- وتلبّس الشيطان (آلو) بجسدي كأنه رداء -
- عيناي تحدقان ولكن لا تبصران .
- أُذُناي مفتوحتان ولكن لا تسمعان .
- شرك يوضع على فمي . مزلاج يغلق شفتي
- وترهّل لحمي وانحسر دمي
- آلامي أعجزت العزّام - وفالي حيَّر العرّاف .
- فلا طارد الأرواح قادر على تشخيص مرضي

- ولا العراف يدري متى ينتهي سقمي .
- لا إلهي يقدم لي العون فيأخذ بيدي
- ولا ألهتي ترحمني بالسير إلى جانبي
- قبري ينتظرني ولوازم الدفن جاهزة
- أجل لقد انتهت عليّ المناحة قبل أن أموت.

ولكن مع إيمان الإنسان بعدالة القدر ، وبأن يوم الخلاص سيأتي ومعه رحمة الإله، فقدكان اشتداد الأزمة نذيراً بقرب الفرج . فقد رأى في حلمه امرأة كأنها الملكة أو الاِلهة بشرته بقرب خلاصه . ظهر بعدها كاهن يحمل لوحاً من الإله (مردوخ) نقش بأمره لتخليصه من محنته ، وإعادة الصفاء والرخاء إليه . فيذكر تفاصيل شفائه، وعودة الحياة إلى أعضاء جسمه مجدداً . فقد قال المعذب:

- وبعدما صفا ذهن سيدي ، وسكن قلب مردوخ الرحيم
- وبعد أن قال « الخلاص لك يا مَن أنت في الكرب العظيم»
- فإنه جعل الريح تحمل أذاي ، فطرد (الريح الشريرة) إلى الأفق
- وطرد (السعال الشديد) إلى مياه العمق (ابسو)
- وعيناي المغمضتان اللتان عضّهما كفن الموت
- أبعد عنهما الكفن ألف فرسخ وأنار بصري
- أُذُناي المغلقتان المسدودتان ، مثل رجل أطرش
- أخرج منهما الشمع وفتح سمعي
- لساني المعقود الذي لا يقوى على النطق ، حَلّ (عقدته) فسهل علي الكلام .
حنجرتي التي ضاقت واختنقت
- أرجعها إلى وضعها فصارت تغني كالمزمار(١) .

وكان من أبرز الشعراء الأكديين وأدبائهم الكاهنة - انخيدوانا- ابنة الملك سرجون الاكدي ، ورد اسمها ضمن عناوين الشعراء والأدباء في لوحين أحدهما في متحف اللوفر والآخر في متحف فيلادلفيا. تولت العمل في (الوركاء وأور) بوصفها كاهنة عظمى ومن مخلفاتها ترتيلة في مديح آلهة الحب والحرب - أنانا - (عشتار).

(١) من ألواح سومر إلى التوراة/ ١٩٨٩بغداد . فاضل عبد الواحد علي.

المناقشة

١- اهتم الأدباء السومريون والبابليون والأكديون والآشوريون بالمحاورات بوصفها من ضروب الأدب . اُذكر عناوين لموضوعات تتضمن مفاهيم العدل الإلهي لديهم .

٢- عندما تقرأ حواراً لأحد الكهنة السومريين أو غيرهم من الأقوام السالفة ، يدعو الإله ليزيل همّه. ماذا تستنتج من ذلك ؟

٣- ما النواميس الإلهية التي يعتقد بها السومريون والبابليون ؟ قارن بين أقوال من الديانات الموحدة والديانات التي سبقتها التي تعتقد بتعدد الآلهة .

٤- ما الفرق بين مناجاة - أيوب - عليه السلام - لله سبحانه وتعالى ، ورسالة التّقي المعذب السومري للإله (مردوخ) ؟

٥- من هي - انخيدوانا - ؟ ما أشهر تراتيلها؟

٦- هل كانت المحاورات تجري في زمن السومرين والبابليين بين الأفراد والآلهة أم تجري بين الأشخاص بعضهم مع بعضهم الآخر أيضاً ؟

التعبير

اُكتب أقوالاً مأثورة حفظتها ، تدعو إلى الود والصفاء والتسامح والأمان .

وَصيَّةُ أبي بكرٍ الصّديق لعمر الفاروق

(رضي الله عنهما)*

إِني مستخلفُكَ من بعدي ، وموصيك بتقوى الله : إنّ للهِ عملاً بالليل لا يقبلهُ بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبلهُ بالليل، وإنهّ لا تُقبل نافلة حتى تؤدَّى الفريضة ، فإنما ثَقُلت موازين من ثقلت موازينه يومَ القيامةِ باتباعهم الحقّ في الدنيا وثِقله عليهم وحق لميزان لا يوضعُ فيه إلا الحقّ أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفّت موازين من خفّت موازينه يومَ القيامةِ باتباعهم الباطل وخِفَّته عليهم ، وحق لميزان لا يوضعُ فيه إلا الباطل أنْ يكونَ خفيفاً . إنَّ الله ذكرَ أهل الجنةِ فذكَّرهم بأحسن أعمالهم وتجاوَزَ عن سيئاتهم فإذا ذكّرتهم قلتُ إني أخافُ أنْ لا أكون من هؤلاء ، وذكرَ أهلَ النار فذكَّرهم بأسْوءِ أعمالهم ولم يذكرْ حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون من هؤلاء . وذكرَ آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحقّ ولا يُلقي بيدهِ إلى التهلكة . فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحبّ إليك من الموت وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولستَ بمعجز الله.

معاني المفردات

مستخلفُكَ : اسْتَخلَفَ يَسْتَخْلِفُ واسم الفاعل مُسْتَخْلِفٌ جعله بعده خلفاً كأنه هو في إدارة شؤونه ، ويقصد هنا شؤون المسلمين .

نافلة : مفردة . جمعها نوافل : الصلاة تطوعاً. والنَفَل الغنيمة ، والجمع : أنفال

الفريضة : وجوب الطاعة .

أهل النار : الكفار المشركون .

أهل الجنة : المؤمنون بالله الواحد.

آية الرحمة : برهان الرحمة .

آية العذاب: برهان العذاب .

---

* البيان والتبيين ج٢.

التـــــهلكة : الجحيم في المعنى القرآني ، العذاب ، وفي الدنيا : الشدة العظيمة التي قد تتسبب بموت الإنسان الذي يغشاها .

معـــجز الله : المعجز الغالب وهو الله سبحانه.

الشرح والتفسير

الوَصِيَّةُ والوَصَايَةُ ، والوِصَايَةُ مشتقة من الفعل : وَصَيَ ، وبعد الزيادة أوْصَى إليه: جعلَهُ وصيَّهُ . وفي هذا النص يتبين أن أبا بكر (رضي الله عنه) ، هو الموصي، وعمر بن الخطاب ، (رضي الله عنه) ، الخليفة بعده ، هو المُوصى إليه وأهم شؤون، وموضوعات الوصية، هم المسلمون، والناس في ديار الإسلام، من يشملهم المسلمون. بحمايتهم.

فإنَّ أبا بكر (رضي الله عنه) ، وهو يعلم ، أنه يوصي رجلاً مسلماً مؤمناً قريباً قُربَهُ إلى رسول الله (ﷺ) ، عارفاً عالماً بحدود الله تعالى ، فلم يمنعْهُ ذلك من أن يوصيه بهذه الحدود مذكراً إياه مراراً ، وتكراراً بها ، ومدلاً بأمثلة عليها ، ما يؤكد أهمية الوصية في الإسلام ، قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾* وهذا يعني ، أن الوصية في الإسلام واجبة ، وهي للأقربين ، والمسلمون أقربون للخليفة والمعاني المتضمنة في الوصية، هي :

١- النص على الوصية (إني مستخلفُكَ من بعدي).

٢- التمسك بتقوى الله تعالى .

٣- التعبد لله تعالى في مواقيت معلومة.

٤- التعبد بالفرائض ، وإمضاؤها ، ومن ثم النّوافل ، ولن يقبل العكس .

---

* سورة البقرة / ١٨٠.

٥- اتباعُ الحق في الدنيا ، وإنْ ثَقُلَ ، وتركُ الباطل ، وإنْ خَفَّ .

٦- إن الله تعالى يذكّر للمؤمنين حسناتهم ، ويغفر لهم سيئاتهم ، وإن ابا بكر (رضي الله عنه) يرجو أن يكون من هؤلاء ، لا من أولئك الذين ذكرهم الله بأسوأ أعمالهم ، لذا لم يذكّر حسناتهم .

٧- إن الله تعالى يذكّر عباده ، بيوم القيامة ، بيوم الوعد ، والوعيد ، ليس تخويفاً لهم ، وإنما ترغيب بالخير بعيد عن التهلكة .

ويختتم أبو بكر وصيته لعمر (رضي الله عنهما) بوجوب تذكّر الموت ، لأنه حق، وتذكر حقيقة أن الله تعالى غالبٌ أمره على كل شيء .

إن هذا النصّ بعد هذه المعاني الإسلامية السامية الجليلة ، قيل بأسلوب جميل هو الآخر، اتصف بوضوح المقصد ، واقتصاد في العبارات ، وبلاغة في تتبع الألفاظ، وغزارة في موارد المعاني .

المناقشة

١- للوصية في الإسلام ركنان ، ما هما ؟

٢- ما الذي قصده أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في قوله : (إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل؟

٣- ما منزلة النافلة بالنسبة إلى الفريضة ؟

٤- ما جزاء أهل الجنة ؟

٥- مِمَ يخاف أبو بكر (رضي الله عنه)؟

٦- ما المقصود بآيتي الرحمة ، والعذاب ؟

٧- ماذا أُريد بمقولة - ولسْتَ بمعجز الله - التي وجهها أبو بكر لعمر (رضي الله عنهما)؟

التعبير

اُكتب عن الوصية ، والناس في مجتمعك من ناحية حسن أدائها ، أو عدمها.



المشورة

للشاعر : بشار بن بُرْد*

إذا بلَغَ الرَّأيُ المَشــــُورَةَ فاسْــتَعِنْ ... بـــرأيِ نَصــيِحٍ أو نصــيحةِ حازِمِ
ولا تَحْسَبِ الشُّورى عليكَ غَضاضَةً ... فَريـــشُ الْخوافـــي قُــوَّةٌ للــقَوادِمِ
ومـــا خَيْرُ كَفٍّ أَمْســـكَ الغُلُّ أُخْتَها ... وما خَـــيْرُ سَـــيْفٍ لم يُؤيّدْ بقـــائِمِ
وخَـــلِّ الْهُوَيْنَى للضَّـعِيفِ ولا تَكُنْ ... نَـــؤُوماً فـــإنَّ الحَزْمَ ليـــسَ بنـائِمِ
وحارِبْ إذا لم تُعْـــطَ إلا ظـــــلامةً ... شَـــبا الحربِ خيرٌ من قَبُول المظالِمِ
وأَدْنِ إلى القُـــرْبى المُقَـــرِّب نَفْسَهُ ... ولا تُشْــهِدِ الشُّورى امْرَءاً غيْرَ كاتِمِ
فـــإنْك لا تَســـْتَطْرِدُ الْهَـــمَّ بالمنَى ... ولا تَبْـــلُغُ العَلْيـــا بَغْـــيرِ المَكارِمِ
ومـــا قَـــرَعَ الْأَقْـــوامَ مِثْلُ مُشَــيَّعٍ ... أريبٍ ولا جـــلَّى العمـــَى مـــثلُ عالِمِ

---

* هو أبو معاذ بشار بن برد شاعر الدولتين الأموية والعباسية ، ولد بالبصرة سنة ٩٥هـ أكمه (كان أعمى في بطن أمه) ، شب فصيح اللسان . وقصد الخلفاء والأمراء بالمدح ، وكان سليط اللسان يتعرض للناس بالهجاء وللنساء بالفضيحة . مدح خلفاء الطرفين من أواخر الأمويين وأوائل العباسيين ومنهم (المهدي) لكنه تعرض له بالهجاء فاحتال عليه بتهمة الزندقة وضرب حتى مات سنة ١٦٧ هـ بعد أن نفي إلى الكوفة . قال الشعر وهو في سن العاشرة ، يجمع شعره بين جزالة البدو ورقة الحضر وشعره الحد الأوسط بين القديم والحديث ، على الرغم من أصوله غير العربية ومن هجائه للمهدي ووزيره يعقوب بن داود قوله :

بنـــــي أمية هُبّوا طالَ نومُكُمُ ... إن الخلـــــيفةَ يعـــقوبُ بنُ داودِ
ضاعت خِلافتكم ياقوم فالتمِسوا ... خلـــــيفةَ الله بيـــنَ الزّقِّ والعودِ

يقال أن له قصائد بالآلاف ولكنها لم تدون فضيّعها الزمان.

معاني المفردات

(١) إذا احتجت إلى استشارة فاستشر حازماً له رأي سديد .
(٢) الغضاضة: النقص أو الأمر المكروه . والقوادم: ريش في مقدمة جناح الطائر، والخوافي: ريش في مؤخرة الجناح أو تحتها، واحدتها خافية، وسميت الخوافي هذا الاسم لأن الطائر اذا ضمَّ جناحيه خفيت، وهي على ضعفها تكسب القوادم قوة.
(٣) ألغُلّ: طوق من حديد يجعل في اليد، جمعه أغلال. وقائم السيف: مقبضه.
(٤) الهوينى : التُّؤَدَة والرفق ، تقول : هو يمشي الهوينى. والحزم : ضبط الأمر والحذر من فواته ، مأخوذ من الشد بالحبل استيثاقاً من المحزوم . وحزم الرجل يحزُمُ حزماً وحزامة : كان حازماً أي متوثقاً من أمره.
(٥) الظلامة: ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك ظلماً .
والشبا : جمع شَباة ، وهي حد كل شيء .
(٦) تستطرد: تطلب الطرد ، والمنى : جمع منية . ومعنى البيت أن المنى لا يمكن أن تزيل الهموم والأحزان .
(٧) المشيَّع : الشجاع ، لأن قلبه لا يخذله كأنه يشيعه أو كأنه يشيّع بغيره . وفي حديث خالد : إنه كان رجلاً مشيعاً . والأريب : العاقل لا يُخْتَل عن عقله .
وجلى : أظهر وكشف.

التعليق النقدي

ما إن تقرأ بيتاً حتى يستوقفك لتتأمل ما تضمنه من سعة المعاني الغزيرة التي يوحي بها إليك . فتجده ينطوي على حكمة أو رأي سديد أو مثل ، لينفعك بعضةٍ تجنبك الهفوات وخطلَ الرأي .

في البيت الأول ينصح بشار باللجوء إلى أصحاب الرأي والمشورة. فكثير من الناس أقدموا على أعمال كادت تودي بهم إلى الهلاك ، لولا أنهم استعانوا بإرشاد أهل الرأي والحكمة . فالعقلين والثلاثة خير من عقل واحد . فلا تستهن بالمشورة مهما صغر حجمها . فالسيف مثلاً لا يفعل فعله من دون مقبض ، واليد الواحدة لا تصفق.

وينصح بشار بالإباء والاحتجاج على المظالم ، ويقول : لا تجافي من يريد

القرب منك ونصحك ، بل ابتعد عن أولئك الذين لا يكتمون لك سراً ويبخلون عليك بالمشورة .

وإن أردت أن تسود قومك وتحظى باحترامهم فعليك بالسخاء والإعانة والشجاعة والمروءة .

المناقشة

١ - أي بيت استهواك وأعجبك في قصيدة بشار؟

٢ - كيف يمكنك أن تسود قومك وتحظى باحترامهم ؟

٣ - إذا استعصى عليك أمر ، أو واجهتك مشكلة ، بماذا تستعين ؟

٤ - أي الناس يمكن أن نستقي المشورة منهم ؟

٥ - أي الناس نتجنب مشورتهم ؟

٦ - إذا عانيت ظلماً من شخص أوجهة ، فكيف تتصرف ؟

٧ - أيّ الأبيات من قصيدة بشار بن برد يتضمن فكرة البيت الآتي :

رَأيُ الجماعة لا تشقى البلادُ به   رُغْمَ الخِلافِ ورأيُ الفَردِ يَشقيها

التعبير

حلل الأبيات الآتية وانقدها :

والبيـــــــتُ لا يُبتَنى إلّا لَهُ عمدٌ   ولا عمـــــــادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ
لايَصلُحُ الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم   ولا سَـــــراةَ إذا جُهّالهم ســـادوا
تُهدا الأمورُ بأهلِ الرأي ماصَلُحَتْ   فإنْ توَلّـــوا فبالأشـــــرارِ تَنقادُ

تَقَنيَّةُ الاستِنساخ

لَيْسَ الاسْتنساخُ وليدَ صُدْفَةٍ ، فَقَدْ عَرَفَتِ الحَضاراتُ الآشوريّةُ ، والبابليّةُ ، والأكديّةُ تَماثيلَ حَيَواناتٍ بِرُؤوسٍ بَشَريَّةٍ ، وهِيَ تَقَنيّاتٌ فَنيَّةٌ ، وهَنْدَسيّةٌ وِراثيّة تَجْمَعُ بَيْنَ الصِّفاتِ المُمْتازَةِ ، أوِ المَرْغوبِ فيها .

وَقَدْ تَخَيَّلَ المِصْريّونَ القُدامى ، بَعْضَ تَقَنيّاتِ الهَنْدَسَةِ الوِراثيّةِ ، بِدَمْجِ جُزْءٍ مِنَ المادّةِ الوِراثيةِ لِكائِنٍ حَيٍّ في البَرْنامَجِ الوِراثيِّ لِكائِنٍ حَيٍّ آخَرَ لإنْتاجِ كائِنٍ حَيٍّ جَديدٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الصِّفاتِ المُمْتازَةِ . وَقَد جَسَّدوا تَخيُّلَهم في تمثال أبي الهَوْلِ الّذي يجمَعُ بَيْنَ رأسِ إنْسانٍ هو (وَجْهُ المَلِكِ خَفْرَع) وجِسْمِ أَسَدٍ ليكونا (رَمْزَي الحِكْمةِ والقُوَّة).



ثور مجنح برأس إنسان

أَمّا الحَضارَةُ الإغريقيّةُ ، فقد تضمَّنت أَساطيرَ اليونانِ كائِناً خُرافيّاً (كيميرا) وهو حَيَوانٌ بِرَأْسِ أَسَدٍ ، وجِسْمِ نَعْجَةٍ ، وَذَيْلِ حَيّة .

وفي عَامِ ١٨١٨م ، ظَهَرت روايةُ (فرانكشتاين) للكاتبة ماري بيرسي شيلي تَحْكي عَنْ عالِمٍ مَجنونٍ ، قامَ باسْتِنْساخِ مِسْخٍ مُسْتَخْدِماً خَلايا مَأخوذةً مِنْ جُثَثٍ بَشَريَّةٍ، وبِمُساعَدَةِ تَيارٍ كَهْرَبائيّ.

وَتَصَوَّرَ الرِّوائي البَريطانيُّ (هكسلي) عام ١٩٣٢م في كتابه : (عالم جديد شجاع) إمْكانيَّةَ اسْتِنْساخِ إنْسانٍ من إنْسانٍ آخَر.

وَوُجِدَ بَيْنَ كُتّاب ِالأَدَبِ مَن ناقَشَ إمكانيّة َعَوْدَةِ الدِّيناصورات إلى الحَياةِ ، وما يَتَرَتَّبُ على ذلك .

وفي مَجالِ التَّطْبيقِ في العَصرِ الحَديثِ، فَقَدْ شَهِدَ عام ١٩٥٠م ، أَوَّلَ عَمَليّة َتَجْميدٍ للحَيَوانات ِالمَنَويّة ِللـثيران ، لاسْتِخْدامِها في تَلْقيحِ الأَبْقارِ ، مِنْ أَجْلِ الحُصولِ على نَسْلٍ يَتَمَتَّعُ بصِفاتٍ جَيِّدَةٍ . إنَّ أَقصى فائِدَةٍ تُرْجى مِنْ مُنْجَزاتِ عِلْمِ (البيوتكنولجية) هي تَحْقيقُ الفائِدَةِ المَرْجُوَّةِ، مِنْ دونِ العَبَثِ بِالخَلْقِ الّذي قَدْ يُحَوِّلُ العالَمَ مِنْ نِعْمَةٍ إلى نِقْمَةٍ.

ولكيلا تُسْتَخْدَمَ تَقَنيَّةُ الاسْتِنْساخ في أَوجهٍ غَيْرِ مَشْروعَةٍ ، أَي مُضِرَّةٍ للبَشَرِ ، فَقَدْ تضافرت جُهودُ دُولِ العالَمِ في وَضْعِ قَوانينَ صارِمَةٍ تَمْنَعُ أَيَّةَ تَصَرُّفاتٍ عِلْمِيّة ٍفي مجالِ الاسْتِنْساخ ، يُمكِنُ أَنْ تَضُرَّ بالبَشَريَّةِ ، وَقِيَمِها السّامِيَّةِ . قالَ تعالى :﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق/ ٥) . وقال أَيضاً : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(ق / ١٥) . وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ (الروم / ٢١) .

فَسُبْحانَ اللهِ مِنْ قَديرٍ ما أَقدرَه ! ومِنْ عَليمٍ ما أَعْلَمَه ! ومـن حـــكيمٍ ما أَحْكَمَه!

قُدّوسٌ سُبّوح ، رَبُّ الملائِكةِ والرّوح.

معاني المفردات

اســـتنســـــخ : من الفعل - نسخ - استخرج نسخاً متماثلة عن الأصل.

الحضارات الآشورية والبابلية والأكدية: حضارات عراقية قديمة.

الهندسة الـوراثية : مصطلح يطلق على علم في الوراثة.

الـــروائـــي : مَن يروي أحداثاً وقعت في الماضي البعيد أو القريب.

فــرانكشـــتاين : بطل رواية الكاتبة في الخيال العلمي (ماري بيرسي شيلي).

المناقشة

١- هل شملت الحضارات القديمة علوم الإنسان؟ أُذكر أمثلة على ذلك.
٢- ما دور المصريين في عِلْم الهندسة الوراثية القديم؟
٣- هل الحضارة العراقية القديمة سباقة في تأسيس نظرية الاستنساخ؟
٤- هل يتعارض علم الهندسة الوراثية مع العقائد الدينية ؟ أوضح ذلك.
٥- إذا تزوج الحمارُ فرساً سَتَلِدُ حَيَواناً قويّاً ، لكنه عَقيمٌ. ما اسمه؟
٦- ماذا علينا أَنْ نصنع لمنع التصرّفات العلميّة التي تضر البَشر، ولا ترضي الخالق العظيم جَلَّ جلاله؟

التعبير

استعمل خيالك العلمي ، في كتابة موضوع ، تتمنى أن يحدث في المستقبل بسببه التطور العلمي لصالح البشر ويرضي الله سبحانه وتعالى .



ماهي القِصّة ؟*

د . محمد يوسف نجم

القِصّة ُمجموعةٌ من الأحداثِ يَرويها الكاتبُ ، وهي تتناولُ حادثةً واحدةً أو عِدّة حوادث، تَتعلّقُ بشخصيّاتٍ إنسانيّةٍ مختلفةٍ ، تَتَباينُ أساليبُ عَيْشِها وتَصرُّفِها في الحياةِ ، على غرارِ ما تتباينُ حياةُ النّاسِ على وجْهِ الأرض . ويكون نَصيبُها في القِصّة مُتَفاوتاً من حَيثُ التأثُّرِ والتّأثير.

وتختلفُ القِصّة عن الأُقْصوصة في أنها تصورُ فترةً كاملةً من حياةٍ خاصّةٍ أو مجموعةٍ من الحيَواتِ ، بَيْنما الأُقصوصةُ تَتناولُ قَطاعاً او شَريحةً أو مَوْقِفاً من الحياة . ولِذا يَضْطَرُّ الكاتِبُ إلى الخَوْض في تَفاصيلَ يتجنَّبُها كاتبُ الأقصوصَةِ ، لأنَّ هذا يعتمدُ على الإيحاءِ في المقام الأوّل. إذَنْ فالفَرقُ الأوّلُ بينَهُما يَتجلّى في عَمليّةِ الاخْتيار؛ إذْ بينما يُحاولُ كاتبُ القِصةِ عَرْضَ سِلْسِلةٍ من الأحداثِ الهامّة ، وَفْقاً لِلتّدرُّج التّاريخيّ أو النَّسَقِ المَنْطقي، يَسْعى كاتِبُ الأُقْصوصَةِ إلى إبراز صورةٍ متألقةٍ واضحةِ المعالم بيِّنةِ القَسماتِ لِقَطاعٍ منَ الحياةِ، بحيثُ تُؤَدّي إلى إبرازِ فِكْرةٍ مُعيَّنةٍ . ولا تَعتَمِدُ الحياةُ الداخليةُ التي يَنْتظِمُها إطارُها ، على الأحْداثِ والشَّخْصيّات وتفاعُلِها بعضها معَ بَعضها الآخر ، بلْ على ما يَنتَظِمُ بينَ الشّخصيات من عَلاقاتٍ وعلى مدى تأثُّرِها بالبيئةِ التي تَكْتَنِفُها . وقد أكَّدَ (براندر ماثيوز) في كتابِهِ «فلسفة الأقصوصة» ، أنّ وَحْدَةَ التأثير هي الفارِق الأساسُ بين الأقصوصةِ والقِصّة.

ومَهمَّةُ القاصِ تَنْحَصِرُ في نَقْلِ القارئِ إلى حَياةِ القِصّة، بِحيْثُ يُتيحُ له الانْدِماجَ التّامَّ في حَوادِثِها ، ويَحْمِلُه على الاعترافِ بِصِدْقِ التّفاعلِ الذي يَحدُثُ بينَ الشّخصيّات والحوادثِ . وهذا أمرٌ يتيسَّرُ لَه ، إذا اسْتَطاعَ أنْ يُصَوِّرَ الشخصياتِ في حَياتِها الطّبيعية الخاصّة.

---

* فن القصة ـ د. محمد يوسف نجم (دار الثقافة) بيروت ١٩٧٤.

القِصّةُ حوادثٌ يخترعها الخيالُ، وهي بهذا لا تَعرضُ لنا الواقعَ ، كما تعرضه كتب التاريخ والسير ، وإنما تَبْسُطُ أمامنا صورةً مُموَّهةً مِنه . ولا يُفْرَضُ في الكاتِبِ ، الذي يتّجهُ اتّجاهاً واقعيّاً في قصته ، أن يَعْرِضَ علينا من الحوَادِثِ ما سَبَقَ وُقوعُهُ فِعلاً ، أو ما ثَبُتَتْ صحّتهُ بالوَثائِقِ والمُستَندَاتِ، ولا من الشَخصيّات ما لَه ذِكْرٌ في سِجلّ المواليدِ والوَفياتِ ، ولكن عليهِ أَنْ يُقنْعَنا بإمكانِ حُدوثِ مِثلِ هذهِ الحوادثِ ، ووجودِ مِثلِ هذهِ الشّخصيات ، في الحياةِ التي نَحْياها ونَعرِفُها .

وفي ذلكَ يقولُ جيمس : «إن الحياةَ فَضاءٌ واسعٌ مُضيِّعٌ، يقفُ الرّوائيُّ وَسْطَه لينتَخِبَ ما يُمكنُ أن يُفَسّر بهِ الحياةَ وَيهدي به السَّبيل . إن مادَّة الرِّوائيُ مُلزِمةٌ ولا شكَّ وقيمَةُ المستنداتِ لا تُنْكَرُ ، ولكن إرادَةَ الكاتبِ وتَصرفهُ في هذه المواد هُما بلا شَكٍ الفن الرِّوائِيُّ الحقُّ . يجبُ على الرّوائيّ أن يُخْضِعَ موادَّه لِفنِّه وألّا يكونَ لَها عَبْداً مُطيعاً هَمَّه النَّقْل الأمين[١]»

وهذهِ الصُّورة المموَّهةُ من الواقعِ، هِيَ الأساسُ الذي يرتَكِزُ عليه فنّ القاصّ وتَنْصَبُّ عليهِ جُهودُه . ولعلّه إنْ وُفّقَ إلى ذلك ، مستطيع أن ينفخَ الرّوحَ في بعضِ الشخصيات ، التي قد تَخْلدُ في الأذهانِ أكثرَ مما تخلدُ بعضُ شَخصياتِ التّأريخ .

والنثْرُ هو الوَسيلَةُ التي يَصْطَنِعُها الكاتبُ لهذه الغاية ، إذ إنّ الشعرَ - بما يَحْويهِ منَ العواطِفِ المتأجّجة ، والخيالِ الجامح ، والموسيقا الخارجيّة وغيرِ ذلكَ مما يرتَكزُ عليه - لا يَصْلحُ لأن يُعَبِّرَ تَعْبيراً صادِقاً دَقيقاً عَنْ تَسَلْسُلِ الحَوادِثِ وتَطَوّر الشّخصيّات ونُموِّها، في تلكَ الحياةِ التّي يَجبُ أن تكونَ صورةً مُموّهةً مِنَ الواقع .

وللكاتِبِ أن يَعتَمِدَ على مبدأ الاخْتيارِ ، لكي يستطيعَ أن يرسُمَ هذه الصورةَ المطلوبةَ . فالقارئُ لا يَهمُّه أن يعرفَ حياةَ الشّخصية بدَقائقِها وتفاصيلِها ، بِعَظيمها وتافهها ، بِقَدْرِ ما يَهمُّه أنْ يَراها حيّةً ، قائمةً أمامَهُ ، تَتَحرّكُ في حَياتِها الخاصة التي يَلَذُّ لهُ أنْ يُلاحِظَها ويختبرَها بنفْسِه . والحقائقُ الإنسانيةُ العامّةُ هي المادّةُ الخام التي تَتَناوَلُها يدُ القاصّ الصّنّاع بِالنَخْلِ والانْتخابِ والتنسيق ، حتى تَخرُجَ منها بِتِلْكَ الشَّخْصيةِ الإنسانيةِ النابضة بالحياةِ ، والتّي تَتفاعلُ معَ الحَوادِثِ تَفاعُلاً طبيعيّاً صادِقاً.

ولَعلّنا نُجِلُّ القَاص ونُقدِّرُ جُهْدَهُ ، عِندَما نُحِسُّ بأنّهُ يُساعدنا على اجْتِلاءِ بَعضِ النّواحي المجهولةِ ، والانبعاثاتِ الغامِضةِ ، في حياتِنا . ولا يُتاحُ للقاصّ أنْ يَرسمَ

(١) دراسات في الأدب الأمريكي / ص ٨٣ .

لنا تلكَ الصّورةَ الواقعيّة، إذا عَمَدَ إلى تَسْجيلِ كُلّ ما تَقَعُ عليهِ عَينُهُ من وَقائعِ الحياةِ، أو كلّ ما يتذكّره ُمِنها . ولكنّه ُيتمكّن ُمن ذلك ، إذا أطلقَ خيالَه باحِثاً عنِ الأسبابِ والنتائج ، مُنَقّباً ً عنِ الأفعالِ وما يتوقّع ُلها من رُدودٍ وأصداءٍ.

وعملية التبسيط والاخْتيارِ ، وَرسْم النَّموذَج الحيّ ، والكَشْف عنِ الأسبابِ التي أدّت إلى هذهِ النتائج ، أو النتـــائج الّتي تولّدتْ عـــن تِلك الأسبابِ ، هيَ أهمُّ ما يُوجّه ُالكاتِبُ إليهِ عِنايتَه. ويستطيعُ القارئُ أنْ يَهتديَ إلى الطريقة التي سارَ علَيْها الكاتبُ، في كلِّ ذلك ، إذا سألَ نفسَهُ ، عَقِبَ قِراءةِ القِصة ، هذينِ السُّؤالَيْن:

١- ما العُنصرُ السّائدُ في القِصّة؟

٢- كيف نسَّقَ القاصُّ مادَّته ورتَّبَها ، بحيثُ يَجعَل تَطوّرَ القِصّة واضِحاً مُمتِعاً ؟

المناقشة

١- ما فنّ القصة ؟

٢- ما الفرق بين الرواية والقصة القصيرة ، والقصة القصيرة جداً ؟

٣- كيف صوَّر الكاتب مَهمّة القاصّ ؟

٤- هل واجب القاصّ أن ينقل الحياةَ نقلاً حرفياً كما تفعلُ آلة التّصوير (الكاميرا) أم أنّ واجبه أن ينتخبَ منها ما يساعده على تفسيرها؟

٥- ما دور تنسيق التفاصيل والخيال بعمل القاص ؟

٦- هل أنت من أنصار الحوار بالعامية من أجل أن تكون الشخصية واقعية ،أم خلاف ذلك؟ ولماذا؟

٧- جاء في المقال : « ولا يفرض في الكاتب ، الذي يتجه اتجاهاً واقعياً في قصته أن يعرض علينا من الحوادث ما سبق وقوعه فعلاً .. ... ولكن عليه أن يقنعنا بإمكان حدوث مثل هذه الحوادث ، ووجود مثل هذه الشخصيات ، في الحياة التي نحياها ونعرفها» .

فسّر ذلك واسند رأيك بالمثل .

التعبير

حاول أن تكتب - أقصوصة - تتناول حدثاً معيناً لشخصية ما ، تحمل فكرة ، تعالجها بأسلوب المؤيّد أو المحتج الرافض.

السيف والسفينة



عبد الرحمن مجيد الربيعي *

لقد تبخر مائي ...

طارتْ نظراتي الثكلى ، توسدت الريح والغيوم .. تمنت لو تضيع ، الريح ليست امينة ، مرحباً بليالي الرحيل والتطواف . فسد الوشم على زندي.. ذلك الميثاق مات، انتزعت السلسلةُ من صدري ورميتها في النهر ، لي قلبٌ متعبٌ يرجمُ السواحل الجاحدة بحنينه .. يجدُ الحصونَ منيعةً والوجوه ليست وجوه اهلنا فيشم رائحة الأرض ويبكي.

هنا مقتل حبيبتي..

وهذه الغرفة المتآكلة الجدران هي مكان الجريمةِ القادمة ، وهذا الرجل الماثل امامي والذي يحادثني بحنجرةٍ كسيرةٍ هو مالكها الوحيد .. هو الذي اشتراها ، دفع ثمنها نقداً ، ثم قرأوا الفاتحة - منكم المال ومنها البنون - وزرع هذا الخاتم اللماع في اصبعه عنواناً لرق حبيبتي .

ابحري بعيداً ، هاجري أيتها النظرات، إياكِ أنْ تعودي القهقرى لتطرقي شواطئ هذا الميناء ، لا تعودي بنا للبكاء لقد تعبنا ، بكينا ومللنا ، دموعنا غزيرة ، لنشربها ونمضي ونكفر بأسطورة الهوى الذليل.

هذه الغرفة ستكونُ ساحةَ المعركةِ المنتظرة ، لن تتكلمي أيتها الجدران ، أيها الشاهد الأخرس ، ربما سآتيك مدمى يوماً تقطر ملامح الهزيمة من محياي ، عظمة شهية امتلكها كلب أماته الجوع ، لا تؤلمني .. آه من أكون أنا آنذاك ؟ وأي جدار سيصفع وجهي؟

---

*ولد في مدينة الناصرية سنة ١٩٣٩م، وفيها أكمل دراسته . تخرج من كلية الفنون الجميلة. بدأ النشر في الصحف العراقية والعربية ، أصدر أول مجموعة له (السيف والسفينة) عام ١٩٦٦م وأشرف على تحرير الصفحة الثقافية في جريدة الأنبار الجديدة، والفجر الجديد . وأهم مجاميعه القصصية (الظل في الرأس) و (وجوه من رحلة التعب) و (المواسم الأخرى) و (الوشـم) رواية و (القمر والأسوار) رواية.

بعدَ أيام ستحتلُ هذا الجدار صورة له ولها وهي تسندُ رأسها إلى صدره بأمان وبجانب الصورة سيكتبان (ليلى وورد في ذكرى زواجهما) وسألتقط أنا صورة لآخر وجه احمله وأخط بجانبها (وجهي في ذكرى هزيمته الأخيرة) وسأضحك ثم أمزق الصورة وأدس بين أشلائها ناراً كافرة ، وأحرق وأحترق ثم أطفئ النار... وسيعود وجهي منفياً مغموراً كقاع الأنهار أحمل وزر العالم على ملامحه الثقيلة.

طارَ الشحرور ، في الجو صقرٌ كافرٌ ، لا مفر عبثاً تعود، ثورة الصقر لا تقاوم وسلاحك واهن وقديم ، لقد تبدل الناس فأنت اليوم لقمة مستساغة ، ينتف ريشك ويتركه للريح ليملأ عيون الغربان المنافقة ويقزقز عظامك اللينة وآنذاك أين سيحل شرود عينيك ؟

تحسست قبضتي ، أين ولّى عصر الفرسان عندما كان الرجل رجلاً حقاً ؟
وأضحكتني قبضتي البالية ، لو عاد عصر الفرسان لسحقتني الخيول وكنت قيء الحملات...

عدت إلى الرجل ، الممتلئ والماثل أمامي ، خلت أنني عالم كيمياوي ، اختلي في مختبري المضيء مع مايكرسكوبي وعدساتي . أمسكت به من عنقه ، وقدته ووضعته تحت المايكرسكوب فرأيت صقيعاً مقرفاً ، مدناً من الجليد والصمت فأطرقت .

ستعود حبيبتي وتذيب الجليد وستجري الأنهار بعد موتها .

قلت له :

- اسمح لي يا ورد أنوي الذهاب .

فقال :

- لا زال هناك وقت طويل .

- لدي موعد سنلتقي في مناسبة أُخرى .

وأردت أن أقول له ستلقاني في حبيبتي ، أرابط أمامك بوجهي اليتيم ...

ستسقطُ تلكَ المدينة وتكون مأوى لهذا البليد وسأظل وحدي المحروم منها ، من استنشاق هوائها والتثاؤب في مقاهيها والتسكع في أزقتها وساحاتها أنا الذي بنيتها بدمي وأتعابي وانتظرت بزوغ فجرها يوماً بعد يوم ، كم تمنيت لو أرقد في ظلالها لحظة ولتأكلني كلابها بعد ذلك .

فتاك المرهق الحزين ، صرعته الشمس والأحلام ، غلبوا خافقي . ومات الرنين فمتى تصفو جبهتي ؟...

سأتسلقُ سُلماً طويلاً يمتدُ بلا نهاية وعندما يصيبني العياء سألقي بجسدي في لجة بحر زنديق ، وهناك أحلّ ضيفاً في بطن حوت جائع ، وسأدخل في صراع طويل مع تقلصات عضلات بطنه وفي أوج المعركة سأتذكر أنَّ في جيبي خنجراً ورثته عن أبي ، وأبي ورثه عن أبيه فاستله وأبقر بطن الحوت وأخرج ، وسيموت وتطفو جثته وسأجعل منها سفينة لي وثيابي شراعها وسأدخل .... كما ولدت لجزيرة بكر لم تطأها قدما رحالة أو مغامر وهناك سأبدأ من جديد .... دونك ...

امتطيتُ جوادي وأرخيتُ له العنان ، حتى دخلت مضارب قبيلة ليلى ، والليل في منتصفه.. فوجدت فرسانها يغطون في نوم عميق ، حتى كلابهم آمنة نائمة ، ترجلت عن جوادي .. وشهرت سيفي وخطوت صوب خيمتها مرفوع الرأس ، إنّني أعرفها تلك الخيمة البيضاء بأوتادها القوية التي لا تهزها ريح وأعرف بابها الواسع الذي يصافح الشمس ، وأعرف ليلى التي لا تستيقظ مبكرة كعادة بنات قريتها ، إلا عندما يسخن خلخالها من حرارة الشمس فيكويها وتفتح عينيها وتشرق شمس القبيلة . نبح كلب قريب فاستيقظ ورد وخرج باحثاً عن سبب النباح فرآني ، رأى هذا التراث الموجع من الموت والأحزان فصرخ :

- من أنت؟

قلت:

- صديق .

وكان سيفي يعوي يريد اطعامه ، فعرف صوتي وقال :

- أهلاً بالصديق ، لقد افزعتنا.

- ابقَ في مكانك لا تقترب .

- لا أقترب .

- اِذهب وعد بسيفك .
- وماذا تريد به ؟
- أُريد أن أسوّي حسابي معك .
- هل جننت ؟ أي حساب بيننا ؟
- أيها اللص .. الزم حدودك .
- أنا لص ؟ استغفر الله .
- لص قاتل .. لقد تركتني زهرة في الهجير ، جفت فركلتها الرياح .
- لم أفهم ..
- أيها البليد.

وجاء بسيفه ، وبدأت جولتنا ، نقيق الضفادع يتوارى ، لن ارى النمل ولا القراد، حتى كادت الشمس أن تشرق عندما جاءته طعنتي الأخيرة فأرديته قتيلاً مضرجاً بدمه ...

التعليق النقدي

يعرض الكاتب أمامنا لوحة صماء تمثل قصة حب ضائع . ضيّع البطل المحب عمره بالأوهام التي أودت به إلى ارتكاب جريمة ، كان سببها خطيئة اجتماعية . لم يكن يتوقع أن حبيبته التي ما بعدها حبيبة ، تسحق حبه بقدميها لتتزوج بغيره من أهل الحضوة والسلطان والمال الوفير ، الذين تتكاثر أمامهم الفرص فتجعلهم أصحاب الخيار ، بينما تضيق في وجوه معظم الناس .

تصور هذا المحب أن الذي تزوج من حبيبته قد اشتراها بماله كواحدة من العبيد والجواري ، فسرقها منه عنوة .... ، وما كان عليه إلّا أن يثأر لحبه الذبيح فينتقم من الاثنين معاً .

لكنه أخيراً ، وبعد أن ارتكب جريمته ، اكتشف أنه كان يعيش أوهاماً تلاشت وما انتقامه هذا إلا همجيّة أودت به إلى الجنون. لقد كان الكاتب رائعاً حين صوّر حالة البطل المحب وهو يقذف بنفسه حماقة إلى البحر ليكون فريسة للحوت ، لولا أنه تنبّه إلى خنجره ، فشق بطنها وجعل من هيكلها سفينة، وملابسه أشرعة . ثم يصل بها إلى مضارب حبيبته، وتدور معركة لم يكن فيها منتصر بل كان الجميع خاسرين فكأنه يعيد مأساة هاملت من جديد .

المناقشة

١- من برأيك الذي كان سبباً في مأساة بطل القصة ؟
٢- هل استطاع الكاتب أن يجمع بين فن القصة والشعر ؟ وكيف ؟
٣- أكان بطل الرواية محقاً بانتقامه ؟ ولماذا ؟
٤- أي المقاطع أعجبك في هذه الرواية ؟
٥- ما العبرة التي نستقيها من هذه الرواية ؟





رحــل النــهار*

للشاعر بدر شاكر السياب**

رحل النهار
ها إنه انطفأت ذبالتهُ على أفقٍ توهَّج دون نار
وجلست تنتظرين عودة سندبادٍ من السِّفار
والبحر يصرخ من ورائك بالعواصف والرعود
هو لن يعود
أو ما علمتِ بأنه أسرتهْ آلهةُ البحار
في قلعةٍ سوداء في جزرٍ من الدمِ والمحار
هو لن يعود
رحلَ النهار
فلترحلي هو لن يعود
الأفقُ غابات من السحب الثقيلة والرعود
الموتُ من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الموتُ من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار
الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار
رحل النهار
رحل النهار
وكأنّ معصمكِ اليسار
وكأنّ ساعدكِ اليسار، وراء ساعته، فنار
في شاطئ للموت يحلم بالسفين على انتظار

---

* بيروت ٢٧ / ٦ / ١٩٦٢م .

** ولد الشاعر بدر شاكر السياب في البصرة - قضاء أبي الخصيب عام ١٩٢٦م ،ظهرت موهبته الشعرية وهو طالب في الثانوية تخرج من دار المعلمين في دار المعلمين العالية، قسم اللغة الانكليزية وهو من رواد الشعر الحر (شعر التفعيلة) . توفي في الكويت إثر مرض عضال ودفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير سنة ١٩٦٤م. من دواوينه (أزهار ذابلة) و (أنشودة المطر) و (أساطير) و (المعبد الغريق) و (إقبال).

رحل النهار
هيهات أن يقف الزمان، تمر حتى باللحودِ
خطى الزمان وبالحجار
رحل النهار ولن يعود
الأفقُ غابات من السحب الثقيلة والرعود
الموتُ من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الموتُ من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار
الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار
رحل النهار
رحل النهار
خصلات شعرك لم يَصُنْها سندباد من الدمار
شربتْ أجاج الماء حتى شاب أشقرها وغار
ورسائل الحب الكثار
مبتلة بالماء منطمس بها ألق الوعود
وجلستِ تنتظرين هائمة الخواطر في دوار
سيعود. لا. غرق السفين من المحيط إلى القرار
سيعود. لا. حجزته صارخة العواصف في إسار
ياسندباد، أما تعود؟
كاد الشباب يزول، تنطفئ الزنابقُ في الخدود
فمتى تعود؟
أواه، مدَّ يديك بين القلب عالمه الجديد
بهما ويحطم عالم الدم والأظافر والسعار
بيني ولو لهنية دنياه
آه متى تعود؟
أترى ستعرف ما سيعرف، كلما انطفأ النهار
صمتُ الأصابع من بروق الغيب في ظلم الوجود؟
دعني لآخذ قبضَتَيْك، كماء ثلج في انهمار
من حيثما وجَهت طرفي ...... ماء ثلج في انهمار
في راحتيّ يسيل، في قلبي يصبّ إلى القرار

ياطالما بهما حلمتُ كزهرتين على غدير
تتفتحان على متاهة عزلتي
رحل النهار
والبحر مُتَسع وخاوٍ. لاغناء سوى الهدير
ومايبين سوى شراعٍ رنّحته العاصفات، وما يطير
إلا فؤادك فوق سطحِ الماء يخفق في انتظار
رحل النهار
فلترحلي، رحل النهار

التعليق النقدي

كان الممثلون في المسرح القديم يرتدون أقنعة في أثناء التمثيل، ربما لاضطرارهم للتعبير عن أكثر من شخصية أو لتقمص ادوار خرافية أو اسطورية معينة، وقد استعار الشاعر العربي الحديث تقنية ((القناع)) ووظفها في قصائده ليضفي على صوته نبرة موضوعية، ويتقمص شخصية يعبر من خلالها عن رؤاه وافكاره.

وفي هذه القصيدة يوظف الشاعر بدر شاكر السياب هذه التقنية ليعبر عن موقفه إزاء حالته الصحية التي تقوده رويداً نحو الموت، ويوظف ذلك من خلال الرحيل والعودة أو الرحيل واللاعودة ففي الأساطير الإغريقية أنّ اوديسيوس ظل تائهاً أو محبوساً لسنوات عديدة، وظلت زوجته الوفية المخلصة تنتظره حتى عاد، ويوظف أيضاً شخصية السندباد الذي يرحل ولكنه يعود بعد كل مغامرة من مغامراته إلى زوجته التي تنتظره.

إنّ السياب يوظف هاتين الشخصيتين ويعبر من خلالهما معاً عن حالته المعاصرة، ولكنه يقلب دلالة العودة الى اللاعودة إذ تنتظر زوجة الشاعر عودة زوجها المسافر في رحلة للعلاج خارج أسوار الوطن في المنافي البعيدة :-

وَجَلستِ تنتظرين عودة سندباد من السِّفار
والبحر يصرخ من ورائك بالعواصف والرعود
هو لن يعود
أو ماعلمت بأنه أسَرَته آلهة البحار
في قلعة سوداء في جزر من الدم والمحار
هو لن يعود

رحل النهار
وتهيمن على القصيدة ملامح التشاؤم والضياع ويتجلى ذلك في تكرار بعض المفردات الدالة ابتداء من العنوان : رحل النهار، وهو لن يعود، والموت، والخوف.

المناقشة

١- استخدم الشعر العربي الحديث تقنيات عديدة مثل القناع والمونتاج وتعدد الأصوات، استشهد بنصوص من هذه التقنيات. وهل ترى أن استخدامها يمثل اثراءً للنص أم تشويهاً له؟

٢- ما دلالات التكرار في النص. ولماذا كرر الشاعر بعض العبارات مرات عديدة؟

٣- برأيك، لماذا بدأت القصيدة وانتهت بعبارة واحدة ((رحل النهار)) ؟

التعبير

برأيك هل كان الشاعر السياب يجد متعة في ان يعزي نفسه على حياة الضياع ومعاناة المرض، أم أنه كان شاعراً ثائراً على الواقع الذي يعيشه؟

مسيرة الشعر الزنجي الأمريكي*

(الشعر الأسود)

كتبَ الشاعرُ الزنجي -لانجستون هيوز- من رواد شعر أمريكا الجديدة يقول:
((نحنُ الفنانين الزنوج الأصغر سِنّاً، الذين يبدعون الآن، نعتزم أن نعبر عن أنفسنا ذات البشرة السوداء ...بدون خوف أو خجل، فإذا رضي الناس البيض عن ذلك فسوف نشعر بالسعادة، أما إذا لم يرضوا، فلا يهم، نحنُ نعرف أننا نتمتع بالجمال وبالقبح أيضاً.. إننا نبني معابدنا من أجل الغد، قويةً لأننا نعرف كيف نبنيها ونقف على قمة الجبل، أحراراً في أنفسنا)).

((هذا هو إعلان الاستقلال الروحي للزنجي الشاب، فالشعر الزنجي اليوم، يمثل اتجاهات مختلفة ... والعامل المشترك الوحيد بين هذه الاتجاهات، هو حقيقة أنّه يعكس تعبيراً ما عن الحس العاطفي للعنصر. وفي حالة الزنجي الأمريكي نجد أنَّ الإحساس بالعنصر عنده أقوى من إحساسه بالقومية))[١] .

أنتج الأمريكيون السود تراثاً أدبياً غنياً ومتنوعاً، أصبح جزءاً عضوياً من الأدب الأمريكي باللغة الانجليزية كأداة للتعبير الأدبي منذ أكثر من مئتين وعشرين عاماً مضت، من بينهم (لوسي تيري)من ديرفيلد بولاية ماسا، كتبت قصيدة عن غارة هندية عام ١٧٤٦م وكان (جوبيتر هامون) من لونج ايلاند واحد من أوائل الشعراء الزنوج ينشر شعره في عام ١٧٦٠م (قصيدة دينية مؤلفة من ثمانية وثمانين بيتاً) وفي عام ١٧٧٣م . كانت فيليس هوتيلي من بوسطن أول زنجية في أمريكا تنشر مجلداً من الشعر طبع في لندن.

ولكن قبل ذلك بكثير، ظهر الأدب الشعبي الافرو-أمريكي العظيم باللغة الانجليزية وكان من إبداع العبيد الذين كانوا يعملون بالسخرة في مزارع الجنوب.والشعر الشعبي بأخيلته واستعاراته المذهلة، يقترن بموسيقا الروحانيات والأغاني العلمانية.

---

* مدخل إلى الشعر الأسود الأمريكي/ الموسوعة الصغيرة ٩٠/ تأليف السيد أحمد المرسي.

[١] الزنجي في الثقافة الأمريكية/ انثولوجي الأدب الزنجي الأمريكي ١٩٢٩/ آلان لوك.

وخلال الثمانينات فقط من القرن الماضي، وبصدور (قصص العم ريموس) بقلم جريل شاندلر هاريس، بدأ القراء الامريكيون يعرفون بواكير من هذا الأدب الثري وقد امتزجت القيم الشعرية والإيقاعية الخاصة بالأهازيج الروحية والقيم الدرامية الخاصة بالحكايات الشعبية. امتزجت بالكثافة العاطفية، وأسهمت في خلق تيار آخر من التعبير الأدبي الشعبي - مواعظ القسس الزنوج - .

وقدرة الزنجي على امتصاص الروح القومية من التربة، وخلق شيء فني واصيل جعلته ذات جاذبية عالمية، وملكة عنصرية رائعة بالتكيف، ليس في امريكا فحسب ولكن في البلدان الاوربية، ولايثير الدهشة أن نعرف أنّ شاعر روسيا الشهير - بوشكين - ينحدر من أصل أفريقي، وإن أعظم كُتّاب فرنسا الرومانسية الكسندر دوماس، ينحدر من أصل أفريقي، وإن واحداً من أعظم الموسيقيين الانجليز - كوليريدج تايلور، رجل يتحدر من أصلٍ أفريقي. ومن اشهر الشعراء في تاريخ الشعر الزنجي الامريكي، والتي لم تعطَ مكانها اللائق في الأدب الأمريكي، هي (فيليس هوتيلي). وفيما يلي أبيات من قصيدة لها بعنوان - خيال -:

أيها الخيال! من ذا الذي يستطيع أن يتغنى بقوتك؟
أو من يصف سرعة مسارك؟
وانت تحلق في الجو بحثاً عن المقر الساطع
القصر السماوي للرب الراعد
على قوادِمك تستطيع ان تلاحق الريح
ونخلف وراءنا العالم الدوّار
من نجمٍ إلى نجم تحوم أبصار الزمن
تقيس السماوات وتنسّق العوالم العليا
وهناك في مشهدٍ واحد تقع على الكل القدير
وبالعوالم الطريفة ندهش الروح الطليعة

ومن قصيدة لهوتلي - عن الاحضار من افريقيا الى امريكا تقول:

إنّها الرحمة التي جاءت بي من أرضي الوثنيّة.
وعلمت روحي التي اطبق الظلام عليها أنْ
تدرك
أنّ هناك رباً وهناك مخلصاً ايضاً،
فذات يوم لم أكن اسعى إلى الخلاص ولم

أكن اعرفه.
البعض ينظر إلى جنسنا الأسود نظرة ازدراء
((إنّ لونهم صياغة شيطانية)).
تذكّروا، أيُّها المسيحيّون، أنَّ الزنوج سود مثل قابيل.
في الوسع أن يصقلوا، وينضموا الى الركب
الملائكي.

وهناك أسماء عدة لشعراء جديرة بالذكر، من بينهم جورج.م.هورتون، وفرانسيس أ.هاربر، وجيمس م.بيل وألبري أ. هوثيمان. وكانت حدود هورتون[(١)] اعظم من حدود أي من الشعراء الآخرين، وتظهر قوة هويتمان الغنائية في أفضل صورها في المقطع الآتي من قصيدته: (اغتصاب فلوريدا):

تعال الآن، ياحبيبي، القمر فوق البحيرة،
فوق المياه زورقي الخفيف،
تعال معي، حبيبي، وسوف تصدر المجاديف الجذلى
موسيقا فوق الموجة الرائحة من اجلك
تعال فوق المياه العميقة والداكنة والزرقاء،
تعال حيث انبثقت شقائق النعمان على الشط،
تعال معي، ياحبيبي، لأن حبي صادق
هذه هي الاغنية التي انشدتها فوق البحيرة
انشدها لتوي عندما كان يافع القلب.

ويعبر شعر (مسز هاربر) عن شيءٍ أكثر من الشكوى, ينطوي على تعبيرعن الإحساس بالخطأ وبالظلم. وقد أحرز شعرها، كما هو شعر هويثمان، شعبية كبيرة، وطبع أحد دواوينها (موسى، قصة النيل) أكثر من عشرين طبعة، نحس بجاذبية شعرها حينما نقرأ المقاطع التالية من قصيدة لها موجهة إلى نساء امريكا البيضاوات:

---

(١) ولد هورتون في نورث كارولينا عام ١٧٩٧م قرض الشعر في سن مبكرة من دون ان يكون قادراً على تدوين كتابه، ارشده اساتذة جامعة نورث التي كان يعمل بواباً بمعهدها وقد نشر ديوانه (أمل الحرية) سنة ١٨٢٩م.

تستطعْنَ ان تتنهّدْنَ من أجل الارمنيّة ذات
العينين الحزينتين.
التي تبكي في بيتها الموحش
من الاقارب والاصدقاء الذين كُتِبَ عليهم
التشرد
لكن اسمَعْنَ! من ارضنا الجنوبية تطفو
تنهدات الكرْب، همهمات الألم،
والنساء الملتاعات يبكين
من أجل معذبيهن وقتلاهن
ألا تحملن أيتها الشقيقات المفضلات
مجرد شكوى أو صلاة أو دمعة
من أجل الامهات اللاتي يسكنَّ تحت ظلال
الألم المبرح والكراهية والخوف
لاتبكين، آه، ياشقيقاتي، يامن تعشْنَ حياة
ناعمة
لاتبكين من أجل زنجي وحده
بل ابكين من أجل أبنائكنّ الذين يجب أنْ
يجمعوا الجثث التي زرعها آباؤهم!!

المناقشة

١- لِمَ كان الإحساس بالعنصر لدى الشاعر الزنجي الامريكي أقوى من احساسه بالقومية؟
٢- ظهر الأدب الشعبي الافرو امريكي باللغة الانجليزية بأخيلته واستعاراته مقترناً بالروحانيات والاغاني العلمانية. ماتفسير ذلك؟
٣- كيف أسهمت الحواديث الشعبية الزنجية في إغناء الأدب الامريكي؟ ومادور القساوسة الزنوج من ذلك؟
٤- ما رأيك في أنَّ الأدب الزنجي اتخذ صفة العالمية لا في امريكا وحدها بل في

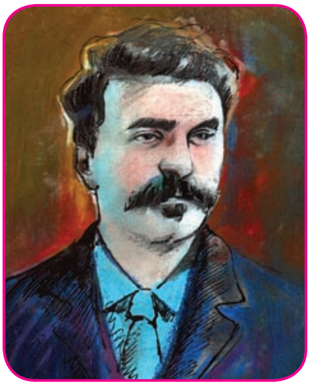
بلاد أوربا ؟ ادعم رأيك بالأمثلة.

٥- من هم أشهر الأدباء الزنوج؟ أعطِ مثالاً من الشعر لواحد منهم.

التعبير

عبّرت الشاعرة الزنجية (مسز هاربر) عن شيءٍ أكثر من الشكوى، ينطوي على إحساس بالخطأ والظلم في قصيدتها الموجهة الى نساء امريكا البيضاوات. حللها وعلق عليها.

في ضَوْءِ القمر



للكاتب/ جي دي موباسان*

اكتسب الأب (مارينيان) بحق اسم ((جندي الله)). كان قساً طويلاً نحيلاً متعصباً إلى حدٍ ما. ولكنه كان عادلاً وذا نفس متسامية وكانت معتقداته ثابتة لاتتغير ولا تتبدل فهو يعتقد أنه يفهم الله فهماً واعياً كاملاً وأنه محيطٌ بخططه ورغباته ونواياه.

وكان احياناً يتساءل وهو يتمشّى في ممر حديقته في البلدة الصغيرة التي يعمل فيها ((لماذا فعل الله ذلك؟)) ويفكر جاهداً ويرضى عن نفسه في اغلب الاحيان إذ يجدُ الجوابَ. ولم يكن الأب (مارينان)من ذلك النوع من الرجال الذي يهمسُ في خشوع. ((إنَّ سُبُلَكَ ياربي أعظمُ من أن تُدركَها مداركُ الرجال)) بل كان يقول ((أنا خادم الله وعليَّ أن اعرف السَّببَ في أفعاله أو أن اتبيَّن السَببَ إن لم أعرفه)).

وخُيِّلَ إليهِ أنّ كل شيء في الطبيعة قد خُلِقَ بمنطق مُطلق جدير بالإعجاب وأن هناك دائماً توازناً بين الاشياء ومسبباتها، فالشروقُ وُجِدَ ليبعثَ البهجةَ في نفس الانسان وهو يستيقظ، والنهارُ وجد ليُنضِجَ المحاصيلَ، والأمطار لترويها والامسيات ليستعدَّ الانسانُ للنوم والليل الحالك للنوم. والفصول الأربعة تتفق تماماً وحاجيات الزراعة. وكان من المستحيل ان يداخل الشك الأب ((مارينان)) في أنّ الطبيعةَ لاهدفَ لها. وأنَّ كلَّ كائنٍ حيٍّ هو الذي يُكيِّفُ نفسَه وفقاً للظروف القاسية للفصولِ والاجواء والمادة ذاتها.

ولكنه كان يكره النساء، كان يكرهُنَّ من اعماقِه، ويحتَقِرُهُنَّ بالغريزة، وكان دائماً يردد قول المسيح ((مالي ولكِ يامرأة)) وكان يضيف قائلاً أنّ الانسانَ يستطيع القولَ إنّ الله ذاتَهُ غيرُ راضٍ عن المرأة التي خَلَقها. وكانت المرأةُ بالنسبة إليه هي الغاوِية التي أغوت الإنسانَ الأول ومازالت تزاولُ نشاطها الملعونَ.

---

* جي دي موباسان أحد أشهر كتاب القصة القصيرة في فرنسا. لقب (ملك القصة القصيرة) ولد عام ١٨٥٠م وتوفي سنة ١٨٩٣م. من مؤلفاته – حياة امرأة – و - الصديقة الجميلة - .

وهي المخلوقُ الضعيف الخطير الذي يسبب قلقاً خفياً. وكان يكره روحها المتعطشة إلى الحب أكثر مما يكره جمالها المسموم. وكثيراً ماشعر بحنان النساء يداهمه. فيضيق بذلك الحب الذي ينتفض دائماً ابداً في صُدورهِنَّ رغم أنه يعرف أنه منه في حصنٍ حصين.

وكان يعتقد ان الله خلق المرأةَ لتغويَ الرجلَ وتختبره وأن على الرجل ألا يقربها إلا وهو متسلح بالحرص الذي يتسلح به وهو مقبل على كمين، فالمرأة في الواقع ليست إلا مصيدة بذراعيها الممدودتين وبشفتيها المفتوحتين في انتظار الرجل.

وكان الأب ((مارينان)) لايحترمُ إلا الراهبات اللاتي جَرَّدَهُنَّ القَسَمُ من الهوى، ومع ذلك كان يعاملهن معاملة قاسية، إذ يلمحُ هذا الحنان الخالد الذي يخفق، حتى في اعماق هذه القلوبِ الطاهرة يخفق دائماً، ويخفق حتى له وهو القَس.

وكانت له ابنةُ أُختٍ تعيش مع أُمِّها في منزلٍ صغير قريب من منزله وكان قد صمم على أن يجعل منها راهبةً. وكانت رقيقةً خفيفة تتعمدُ اغاضته باستمرار ، وعندما يعِظُ تضحكُ، وعندما يغضبُ تقبله في حرارةٍ وتضمه إلى قلبها بينما يسعى هو بلا وعي إلى تخليص نفسه من بين ذراعيها ومع ذلك كانت تلك الضمةُ تثير في نفسه احساساً حُلْواً كانت توقظ في قلبهِ ذلك الشعورَ الراقدَ في اعماقِ كلِّ رجل.

وكثيراً ماحدَّثها عن الله، عن ربه، وهو يمشي إلى جوارها في الحقول ونادراً ما انصتت إليه. كانت تنظر إلى السماء وإلى العشب وإلى الزهور وعيناها تلتمعان بفرحة الحياة وكانت تجري احياناً لتمسك بفراشةٍ ثم تعود بها وهي تصيح ((انظر انظر ياخالي كم هي جميلة، بودي أنْ اقبلها)) وكانت هذه الرغبة من جانب الفتاة في تقبيل الفراشة والزهور تزعج الأب وتضايقه وتُثيرُهُ فقد رأى فيها دليلاً على ذلك الحنان الدائم الذي ينبض في قلب كل امرأة. وفي يوم من الأيام اخبرت مدبرةُ البيتِ الأبَ ((مارينان)) أن ابنةَ أُخته قد اتخذت لِنفسِها عَشيقاً.

وعانى الأب احساساً مؤلماً. وقف مختنقاً والصابون يغطي وجهه وهو يَحْلِقُ وعندما استعاد القُدْرةَ على الكلام صاح:

- كذب كذب .... انت تكْذبين يا ((مالينا)).

ولكن المرأةَ القرويةَ وضعت يدَها على قلبها وقالت.

- ليعاقبني الله إن كنتُ أُكْذِبُ ياسيدي القَسَّ إنها تذهب إليه كل ليلة بعد أن تنام اختك، وهما يتقابلان بجانب النهر، وما عليك إلا أن تذهب إلى هناك مابين الساعة العاشرة ومنتصف الليل وستراها بعينيك.

وتوقف الأب عن حك ذَقْنِه وبدأ يذرع الحجرة بسرعة كما يفعل عندما يستغرق في تفكيرٍ عميق. وعندما حاول أن يُكْمِلَ حلاقة ذَقْنِه جرح نفسه ثلاثة جروح امتدت من الأنفِ الى الأذُنِ.

وظل طَوالَ اليوم ساكناً وقد امتلأ غضباً وثورة فإلى جانب كرهه الطبيعي للحب شعر أنّ كرامتهُ قد اهينت كأب ومعلم وكراعي للنفوس، شعر أنَّ طفلةً قد خَدعتْهُ وسَخِرَت منه وسلبته شيئاً يملكه. شعر بهذا الحزن الاناني الذي يشعر به الوالدان حين تخبرهما ابنتهما انها اختارت لنفسها زوجاً دون مشورتهما. وضد هذه المشورة.

وبعد العشاء حاول أن يقرأ قليلاً ولكنه لم يستطع ان يكيف نفسه للقراءة وازداد غضباً على غضب. وعندما اعلنت الساعة العاشرة اخذ عصاه وهي عصا غليظة من خشب البلوط يحملها عادة حين يخرج ليلاً لزيارة المرضى. وابتسم وهو يرقب العصا الغليظة وقد استقرت في قبضة يده القوية .

وأدار العصا في الهواء مهدداً ثم رفعها فجأة وهو يَجِزُّ باسنانه وانهال على كرسيٍّ فحطَّم ظَهْرَهُ.وفتح باب بيته ليخرج ولكنه توقف عند بابه مبهوتاً. كان بهاء القمر رائعاً روعة نادرة، واستجابت روحه السامية لما حوله وشعر فجأة ان جمال الليل الشاحب وجلاله وبهاءه قد حرك قلبه. وفي حديقته الصغيرة التي سبحت في ضياء باهت عكست اشجار الفواكه ظلالها على ممر الحديقة، أغصان رقيقة من الخشب تكسوها الخضرة ومن الزهور المتسلقة على الحائط انبعثت رائحة لذيذة وحلوة علقت كروح عطرة بالليل الدافىء الصحو.

وبدأ يتنفس تنفساً عميقاً. يحتسي الهواء كما يحتسي السكير الخمر. وسار ببطء مسحوراً مبهوراً حتى كاد ينسى ابنةَ أُخته.

وعندما وصل إلى بقعة عالية وقف يرقب الوادي بأجمعه وقد امتد تحت بصره وبهاء القمر يحتضنه، وسحر الليل الهادىء الحنون يغرقه، ونقيق الضفادع يتردد في نغمات قصيرة، والبلابل عن بعدٍ أشجاها القمر فتغنت واختلط غناؤها في موسيقا لاتثير الفكر وإنما تثير الاحلام واستمر الأب يمشي وهو لايعرف لِمَ تخلت عنه شجاعته فقد شعر كما لو كان التعب والارهاق قد تسربا إليه، وود لو يجلس أو يتوقف حيث هو ليحمد الله على ماصنعت يداه.

وتحت بصره، حول منحنى النهر امتد صفانِ طويلان من الأشجار وفوق شَطَّي النهر سبحت سحابة خفيفة بيضاء تخللتها اشعة القمر فأضفت عليها لون الفضة

وبريقها.

وتوقف الأب من جديد وقد نفذ إلى اعماقه شعور قوي متزايد واستولى عليه شك وقلق وشعر أن سؤالاً من الاسئلة التي تلح عليه احياناً تدور إذ ذاك في عقله.

لماذا فعل ذلك الله! إذ كان الليل للنوم للإغفاء، للراحة، للعدم، فلماذا كان اكثر سحراً من النهار، واحلى من الغروب والشروق؟ وهذا الكوكب البطيء الخلاب الذي يغلب جماله على جمال الشمس، والذي يضيء الكائنات بنورٍ رقيقٍ يستعصي على الشمس .... هذا الكوكب الذي لم يشرق لينير الظلال؟ ولِمَ لا يأوي البلبل الصداح إلى النوم كغيره من الطيور ولِمَ هذا الحس الذي يتسلل إلى الروح وهذا السحر الذي لاينعم به الإنسان إذ يأوي إلى فراشه في الليل؟ لمن خلق الله هذا الجلال، هذا الفيض من الشعر الذي يتدفق من السماء إلى الارض؟ ولم يجد الأب لهذه الاسئلة التي ثارت في نفسه جواباً.

ولكن إذ ذاك في طرف المرعى ظهر ظلان يمشيان جنباً الى جنبٍ تحت الاشجار المتعانقة الغارقة في الضباب الفضي.

وكان الرجل هو الأطول، وقد التفت ذراعه حول عنق حبيبته ومن وقت لآخر كان يقبلها في جبينها. وفجأة دبت الحياة في الطبيعة المهجورة التي احاطت بهما وكأنها إطار إلهي صنع خصيصاً من أجلهما. وبدأ الشخصان وكأنهما كائن واحد. الكائن الذي خلق من أجله الليل الهادىء الساكن، واقتربا من القس كإجابة حَيّةٍ عن سؤاله، إجابةً بعث بها إلى ربه الأعلى.

وقف الأب مصعوقاً وقلبه ينبض بشدة. وتمثل قصص الانجيل كقصة حب روث Ruth وبوز Boaz ، وإرادة الله تتحقق في القصص الجليلة التي وردت في الكتاب المقدس وفي رأس القس ترددت آيات نشيد الإنشاد، الصرخات الوالهة ونداء الجسد، والشعر الجميل في القصيدة التي تتأجج حناناً وحباً.

وقال لنفسه ((ربما خلق الله مثل هذه الليلة إطاراً لمثله الأعلى... لحب الإنسان)).

وتراجع بعيداً عن الحبيبين اللذين تقدما يداً في يدٍ ... كانت فعلاً ابنة اخته. وكان الأب مارينان يتساءل الآن... ألم يكن على وشك الخروج عن طاعة الله؟ فلو لم يكن الله يرضى عن الحب لما أحاطه بمثل ذلك الإطار من الجمال.

وهرب الأب مبهوتاً وهو يكاد يشعر بالخجل، كما لو كان قد اجتاز هيكلاً مقدساً لاحَقَّ له في اجتيازه.

التعليق النقدي*

لو أنك حاولت أن تلخص الخبر الذي ترويه هذه القصة لقلت ان قسيسا يدعى الأب ((مارينان)) سمع انّ ابنة اخته على علاقة بأحد الشبان فخرج ليضبطهما وتربص لهما في الحقول. وبعد مدة رآها قادمة مع حبيبها تتهادى في ضوء القمر فخجل من نفسه وعاد إلى بيته. خبر في ذاته تافه لامعنى له ولا يشبه القصة أو يعادلها في كثير أو قليل ومع ذلك فهو نفس الخبر الذي تحويه القصة، نفس الخبر الذي يعني الشيء الكثير عندما تقرأ القصة بأكملها. والسبب واضح فالخبر في القصة لم يعزل ويجرد كما عزل وجرد في الملخص. فنحن نعلم من هو الاب ((مارينان)) وما هي مشاعره بالنسبة الى الخالق وما هي احساساته بالنسبة الى النساء. ونحن نعلم انه دائم السؤال عن مظاهر الخليقة وانه دائماً يجد سبباً لكل ظاهرة من هذه المظاهر. ونحن نعلم ايضاً كيف كانت مشاعره عندما رأى ضوء القمر يغمر الحقول، وانه حاول جاهداً أن يجد سبباً لهذا الجمال الذي يغمر الكون في ضوء القمر، إذ كان يعتقد ان الله لايخلق شيئاً من دون سبب، وانه عندما رأى الحبيبين قادمين اهتدى إلى السبب. واحس كما لو كان على وشك أن يطأ هيكلاً حرم عليه دخوله فعاد الى بيته.. نحن نعلم كل هذه الاشياء وهي اشياء لايمكن أن تنفصل عن الخبر الذي تنقله القصة لانها السبب فيه ولذلك فإن الخبر من دونها لامعنى له بل ولا وجود له..

والواقع ان هذه القصة لاتعنى بنقل خبر على الإطلاق وانما تعنى بتصوير حدث متكامل له وحدة، ولذلك فأنت لايمكنك أن تلخصها أو ترويها.

والحدث الذي تصوره قصة ((موباسان)) ينقسم ككل حدث متكامل على مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: وهي البداية او الموقف وتتكون من خطوط ثلاثة:

الخط الأول: ويصور الأب ((مارينان)) وهو رجل ذو نفس متسامية يعتقد أن كل شيء خلقه الله لابد وان يكون له سبب، وهو يدرك هذه الاسباب ويفهمها جيداً.

الخط الثاني: ويصور كراهية الأب ((مارينان)) للنساء، لسحرهن الفتاك ولنفوسهن المشبعة بالحب، ونحن لانعلم اكثر من ذلك عن الاب ((مارينان)). ولكننا نعلم مايفي بالغرض.

* فن القصة القصيرة : د. رشاد رشدي/ مكتبة الانجلو المصرية/ القاهرة ١٩٧٠.

أما الخط الثالث: فيصور ابنةَ اخت الأب ((مارينان)) التي أراد لها أنْ تكون راهبة ولكن قلبها مفعم بالحب والرغبة في الحياة ونحن لانعلم أكثر من ذلك عنها ولكن مانعلمه يفي بالغرض.

هذه الخطوط الثلاثة تمثل عوامل الحدث. وهي تسير متوازية مادامت لم تتعد مرحلة البداية أو الموقف، ولكنها لايمكن أنْ تظل متوازية إلى الأبد. فالأب ((مارينان)) يكتشف ان ابنة اخته على علاقة بأحد الشبان وانها تخرج للقائه كل مساء، وهنا تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الوسط او التشابك، فنلاحظ ان الخط الثاني، وهو الذي يصور كراهية ((مارينان)) للنساء والحب، يبدأ يتشابك مع الخط الثالث، وهو الذي يصور رغبة ((مارينان) في ان تكون ابنة اخته راهبة، لذلك نجده يثور ويمسك بعصاه ويهشم بها الكرسي ثم يصمم على الخروج ليضع حداً لهذا الغرام.

ولكنه مايكاد يفتح الباب ليخرج حتى يقف على العتبة وقد راعه بهاء القمر، ولما كان ذا نفس متسامية فقد احس فجأة بالخشوع يملأ قلبه وبالرقة تغمر نفسه، فوقف مبهوتاً يتأمل جمال الليل الهادئ الشاحب وعند هذه النقطة يبدأ الخط الاول وهو الذي يصور تدين الأب ((مارينان)) ونفسه المتسامية في التشابك مع الخطين الثاني والثالث. ويتجول الأب ((مارينان)) بين الحقول، ويزداد تأمله لجمال الليل في ضوء القمر ويزداد قلبه امتلاءً بالخشوع وتزداد نفسه امعاناً في الرقة. ويتساءل كعادته عندما لايفهم امراً من أمور الله. عن السر في وجود هذا الجمال، مادام الليل قد جعل للنوم. ولكنه لايجد جواباً لسؤاله.

ويحتار وتشتد حَيْرَتُه وعند ذاك يظهر على بعد ظلان يسيران جنباً الى جنب تحت الاشجار المتعانقة، وكان الرجل هو الاطول وقد التفت ذراعه حول عنق حبيبته، وفجأة خيل الى القس ان الحياة قد دبت في الطبيعة المهجورة التي احاطت بهما وكأنها إطار إلهي صنع خصيصاً من اجلهما، واقتربا من القس كإجابة حية عن سؤاله، اجابة بعث بها إليه ربه الأعلى، وقال الأب (مارينان) في نفسه ((ربما خلق الله مثل هذا الجمال اطار لمثله الاعلى: لحب الانسان.)وتراجع بعيداً عن الحبيبين وكانت فعلاً ابنة اخته وراح الاب (مارينان) يتساءل ((ألم يكن على وشك الخروج على طاعة الله؟ فلو أنّ الله لايرضى عن الحب لما احاطه بذلك الاطار من البهاء)) وهرب الاب مبهوتاً، وهو يكاد يشعر بالخجل، كما لو كان اجتاز معبداً لاحق له في اجتيازه وهذه هي المرحلة الثالثة او نهاية الحدث.. وهي كما ترى ليست شيئاً مفروضاً على الحدث من الخارج بل هي النتيجة المحتومة لجميع عوامل الحدث كما

عرفناها في مرحلة البداية... الأب ((مارينان)) ونفسه المتسامية واعتقاده الراسخ ان كل شي خلقه الله لابد وان يكون له سبباً.

والاب ((مارينان)) ايضاً وكرهه للنساء وخوفه منهن، ثم ابنة اخته اليافعة ذات القلب المفعم بالحب المليء بالرغبة في الحياة، كل هذه العوامل قد تشابكت وتفاعلت بعضها مع بعض إلى أنْ انتهت الى نقطة واحدة، تكامل بها الحدث وتحققت وحدته.

وكل هذه العوامل، كما هو واضح تتضمن الفعل والفاعل. أو الشخصية وهي تعمل. ولذلك كانت قصة ((موباسان)) قصة بالمعنى الحقيقي، لانها تصور حدثاً متكاملاً له وحدة . فلأجل أنْ تتحقق للحدث وحدته يجب ان يقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل لأنَّ الفعل والفاعل أو الحدث والشخصية شيء واحد لايمكن تجزئته فان اقتصر تصويرنا على الفعل وحده لما استطعنا أنْ نصور الحدث كاملاً، بل لما استطعنا أنْ نصور الحدث على الإطلاق، إذ يجيء مانكتب خبراً، وإنْ كنا نريد أنْ يكون قصة...



اَلـــرُّوميّـات

لأبي فراس الحمدانّي [١]

لأبي فِراسٍ الحْمدانّي من قصيدة كتب بها وهو في الأسر إلى سيف الدَّوْلةِ:

إذا الخِــــلُّ لم يهــــجُرْك إلا مـــــلالةً   فليـــــسَ له إلا الِـــــفراقَ عتــابُ [٢]

[١] هو الأمير أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي. ولد سنة ٣٢٠هـ وكان أبوه يومئذ والياً على الموصل من قبل الخليفة العباسي واستهلت حياته ــوهو ابن ثلاث سنوات- بالفجيعة بأبيه، إذ قتله ناصر الدولة ابن عم الصبي غدراً، فحضنته أمه، وترعرع في كنف ابن عمه وزوج أخته الأمير علي الملقب بسيف الدولة في حلب، فأحاطه بضروب العطف، وأخذه بأسباب الثقافة ودربه على الفروسية، فشب شاعراً فارساً، وصحب سيف الدولة في أكثر وقائعه مع الروم، وكان أعز قواده عليه، وأسره الروم في بعض المواقع وهو جريح، فسجنوه بخرشنة، ثم نقلوه الى القسطنطينية، فلبث في الاسر اربع سنين حتى وقع الفداء بين المسلمين والروم، فعاد إلى حلب، وعينه سيف الدولة على منبج، ثم ما لبث أن توفي سيف الدولة وخلفه ابنه أبو المعالي (ابن اخت الشاعر)، فأراد أبو فراس أن يضم إليه مدينة حمص، فأبى عليه ذلك، وجرت بينهما معركة قتل فيها أبو فراس، وذلك سنة ٣٥٧هـ.

وشعره يجمع بين الرقة والجزالة والحلاوة، تصرف فيه في اغلب الفنون فأجاد، وغلب عليه الفخر والحماسة والعتب والشكوى، وأجمله هذه الروميات التي نظمها في الأسر، وفيها الغزل والنسيب، والرثاء والنحيب، والفخر والبطولة والغضب والعقاب، وطابعه في كل ذلك الصدق والإخلاص وصفاء الروح وديوانه مطبوع مشهود.

[٢] الخل: الصديق المختص، وهو في المذكر والمؤنث سواء. ملالة: أي عن ملل، منصوب على أنه مفعول لأجله، ويصح أن يكون حالاً على التأويل بالمشتق أي مالاً. يقول: إذا ملك الصديق المخلص فهجرك، فلا تعاتبه الا بفراقك له، أي يجب أن يقوم الفراق مقام العتاب.

إذا لم أجِد مِن بَلدةٍ ما أريدهُ   فَعندِي لأُخْرى عزمةٌ ورِكابُ [1]
صبُورٌ ولو لم تَبقَ مني بَقيةٌ   قؤُولٌ ولو أنَّ السيوفَ جوابُ [2]
وقُورٌ وأحداثُ الزمان تنُوشُني   وللمَوْتِ حوْلي جَيْأةٌ وذَهابُ [3]
والحظُ أحوالَ الزمانِ بمُقلةٍ   بها الصدقُ صِدقٌ والِكذابُ كِذابُ [4]
بِمَنْ يثقُ الإنسانُ فيما يَنوُبُهُ   ومن أينَ للحرِ الكريم صحابُ [5]
وقد صارَ هذا الناسُ إلا أقلهم   ذئاباً على اجسادِهِنَّ ثِيابُ [6]

---

[1] لأخرى: صفة لموصوف محذوف، أي لبلدة أخرى. عزمة: مصدر المرة من ((عزم)). وركاب: يريد به الرحيل والسفر، والركاب: الابل, والركاب من السرج كالغرز من الرحل.

[2] صبور: كثير الصبر، وهو خبر لمبتدأ محذوف، أي أنا صبور. بقية: يريد بها فضلة من القوة والأمل بالحياة. قؤول: صيغة مبالغة من القول. والمراد أنه قول فصل ولو كان جواب مايقول السيف.

[3] وقور: ثابت رزين لاتقلقه الحوادث، صيغة مبالغة من الوقار. تنوشني: تنالني وتمتد إلي. وجيأة: مصدر المرة من جاء.

[4] ألحظ: أرقب، كانه يرقب باللحظ. والمقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض. والكذاب: مصدر كذب. يقول: ارقب أحوال زمني بنظرة صادقة لاتخطئ فتريني الاشياء على حقيقتها.

[5] ينوبه: ينزل به من الحوادث، ومنه ((النائبة)) أي الحادثة النازلة، والمصيبة.

[6] جملة ((وقد صار هذا الناس)) حال من البيت السابق، اي بمن يثق الانسان وقد صار الناس كذا .... والمراد أن أفعالهم في الغدر والعدوان كأفعال الذئاب وإن كانوا في هيئة الإنسان.

إلى اللهِ اشـــــكو أننــــا بمنــــازلٍ تَحَـــــــكمُ في آسـادِهِنَّ كِـــلابُ [1]

تَمُرُّ الليالي ليـــــسَ للنفعِ موضعٌ لـــــديَّ ولا للمُعتــــفينَ جَنـــابُ [2]

ولا شُدّ لي سرجٌ على ظَهر سابحٍ ولا ضُـــرِبَتْ لي بالعَراء قِبابُ [3]

ولابرقتْ لي في اللقـــاءِ قواطعٌ ولا لمعتْ لي في الحروب حرابُ [4]

---

[1] تحكم: اصله تتحكم. فحذفت تاؤه الاولى تخفيفاً, والجملة في محل جر صفة لمنازل والمراد بالآساد الرجال الذين هم كالاسود شجاعة واباء وعلو همة وشرفاً، وبالكلاب من هم كالكلاب ضعة وذلاً وصغر نفس.

[2] المعتفون: الطالبون فضلاً أو رزقاً. والجناب: الفناء والناحية.

يشير الى حاله في اسر الروم متحسراً, فيقول منكراً ماهو فيه: تمضي علي الليالي الطويلة وأنا معطل لا اقدر على ان انفع ولاينزل بساحتي طالبو العرف والقرى كما كنت من قبل.

[3] سابح: فرس سابح، وهو الخفيف الشديد العدو، لسبحه بيديه في سيره، العراء: الفضاء لا يستتر فيه بشيء. وقباب: جمع قبة: يريد بها الخيمة الكبيرة. يقول: وتمر علي الليالي وأنا قعيد لا اقاتل ولا اغزو، ولاتضرب لي الخيام في العراء كما كنت قبل الأسر.

[4] قواطع : اي سيوف قواطع . واللقاء : يريد به الالتحام في القتال .والحراب :جمع حربة

سَـــــتَذْكرُ أيامي نُمــــيَرٌ وعامرٌ وكَعْـــــبٌ على عِلاتِـها وكلابُ [1]
أَنا الجار لا زادي بطيء عليــــهم ولادون مــــالي للحـــوادث باب [2]
ولا اطلب العوراء منهم اصـــيبها ولا عورتي للطالبـــين تصــــاب [3]
وأسطو وحبي ثابت في صدورهم وأحلم عن جُهـــالهم وأهــــاب [4]
وما أدعـــــــي مايعــلم الله غيره رحــــاب ((عليّ)) للعفاة رحاب [5]
ولكن نبــــا منـــــه بكفيَّ صــــارِمٌ وأظلَمَ فــــي عينـيَّ منهُ شِهابُ [6]

---

[1] نمير وعامر وكعب وكلاب : أسماء قبائل عربية معروفة .
على علاتها : على علات أيامي السالفة ، أي على كل أحوالي.

[2] الزاد: طعام الحضر والسفر جميعاً. يمتدح بخصاله فيقول: إنه يبر جاره فلا يؤخر عنه زاده، ويغيث الملهوفين فلا يسد بوجوههم بابه.

[3] العوراء: الكلمة القبيحة، والفعلة الشنعاء. والعورة: السوأة.

[4] اسطو: اقهر وآخذ بالشدة.

[5] معنى البيت: لا أقول الا الحق مما يعلمه الله عني، ومن هذا الحق الذي لا يمارى فيه ان رحاب ابن عمي علي سيف الدولة الحمداني أمير حلب، أي ساحاته، واسعة لضيوفه وطالبي معروفه وقاصديه. وواحد العفاة: العافي.

[6] نبا السيف من الضربة : كلَّ منها ورجع من غير قطع . والصارم : السيف القاطع .
والشهاب : شعلة من نار ساطعة، والنجم الذي يكون منه ذلك . شبه سيف الدولة بصارم نبا في كفه ، لأنه ، لم يسعفه في أَسره بشيء ، وبشهاب لم يضيء لعينيه سبيل الخلاص.

وأبطـــــأَ عَنّي والمَـــــنايا سـَريَعةٌ وللِمَـــوْتِ ظُـــفرٌ قــد أطَل ونــابُ [1]

فـــإلاّ يكُـــنْ وُدٌ قــــــديمٌ عهدتُهُ ولانَسَـــبٌ بين الرجـــالِ قُـــرابُ [2]

فأحـــوَطُ للإســــلامِ أنْ لايضِيعَني ولـــي عنهُ فـــيهِ حَــوْطَةٌ ومَنابُ [3]

ولكنــــــني راضٍ على كل حـــالةٍ ليُـــعْلَمَ أيُّ الحـــالتـينِ ســـرابُ [4]

ومازلتُ أرضــــى بالقليل محـــبةً لــديه ومـــادونَ الكـــثير حجابُ

وقد كنتُ أخشى الهجرَ والشملُ جامع وفـــي كُلِّ يـــوم لَقْـــيَةٌ وخِطـابُ [5]

---

[1] أبطأ عني: يريد تأخر في فكاكي وافتدائي . والظفر : يكون للانسان وغيره، والناب:السن خلف الرباعية، يريد أن المنايا متحفزة للافتراس .

[2 -3] يقول: ان لم يعمل سيف الدولة لفكاكي بدوافع الود القديم والقرابة في النسب, فان حياطة هذا الدين والدفاع عن بيضة الاسلام, يقتضيه ألاّ يفرط بي، ولايضيعني. والحوطة: مصدر المرة ل ((حاط)) وهي الحفظ والصيانة والرعاية. والمناب: مصدر ميمي ل ((ناب)) اي لزم الطاعة.

[4] السراب: ماتراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء، وقد ورد في التنزيل تمثيل رائع لاعمال الكفار بحالة السراب، وهو قوله تعالى:﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾النور: ٣٩.

[5] الشمل: من القوم مجتمع امرهم وعددهم.

فَكـــيْفَ وفيما بَيْنَنـــا مُلك قيْصَرٍ   وللبَــحْرِ حَوْلي زَخـْرَةٌ وعُبابُ [1]

أَمِنْ بعـــدِ بذل النفسِ فيما تُرِيدُهُ   أُثَابُ بمــُرِّ العتبِ حـــينَ أُثـابُ [2]

فليتــكَ تحلو والحيـــاةُ مـريرةٌ   وليتــكَ ترضـــى والأنامُ غِضابُ

وليـــتَ الذي بيني وبينكَ عامرٌ   وبيـــني وبيـــنَ العالمينَ خَرابُ

إذا نلت مـــنكَ الودَّ فالكُلُّ هَيِّنٌ   وكُلُّ الـذي فوقَ التُّـرابِ تُرابُ

فيا ليت شُربي من ودادِكَ صافياً   وشُـــربيَ مِنْ ماء الفُراتِ سَرابُ

---

[1] زخرة البحر : طميه ، وارتفاع أمواجه. والعباب : معظم الماء .

[2] الخطاب في هذا البيت ومابعده لسيف الدولة ، والمعنى واضح .

من الشعر الصيني المعاصر[١]

بَــذْرَةَ النّـــارِ

للشاعر: جن تزو- هو*

في تموز وفي الجنوب الذي تكلله عناقيد المرجان
تضيءُ الشمس مع سيقان الرز الذهبية
شُمُعْدانات الحورِ المُتَشَعِّبة
وزهرة اللهب المقدس
ومن حديقة زهرة الشمس يأتي طيرُ الازوردي
لينثرَ بذورَ النّارِ
ويضرم مشاعل شجرةِ العنقاء
في تُموز، تحدقُ زرقةُ البحر
بالجنوب المُتقِد
غيوم تُموز ابنيةٌ اثيريةٌ غريبة
تُخَطِّطُ المدنَ الفاخرة والسهل البنفسجي
وهناك وسط رقصة فالْس النّار
تلتقطُ الكرومُ ترابَ الذهب

---

[١] المصدر: أ- الشعر الصيني الجديد/ يوكوانج شنغ. ب- صحيفة المدى العراقية ٢٠٠٦م .

* الشاعر الصيني - جن تزو - هو- من منطقة -زيجوان- جنوبي الصين. درس في اليابان: عاش في تايوان - واشتهر بشاعريته المؤثرة، وعمل مترجماً وناقداً وقد تأثر بالرومانسيين الفرنسيين. له دواوين عدة منها (قصائد في البحر، وزهور عباد الشمس، البهو)، وترجم لمارتين، وفنجي، وهوغو، وفيرهيرن، وابولونير، وكوكتو. وله مقالات بعنوان (تشريح الشعر). وهو احد مؤسسي جماعة (النجم الازرق) للشعر.

وتتفتحُ الازهارُ باغفاءة القيلولة
وتغسِلُ الارض المسفوعةَ شعرها عند رأس الساحل
بتموجات الشمس الذهبية
فجمالُها مفعمٌ باللذة البدائية
وتنمو نباتات الجنوب غريزة برية
وتخصب الزهور الغضة بالاوراق المتفسخة
ويتفتحُ لهبُ التويجاتِ غاضباً
وهو ينشر مظلةَ الحياة الجديدة
والعُتمةُ الخضراءُ للاوراقِ الخانقة
لاتعمي عيونَ الازهارِ المتطلعةَ نحوَ المستقبل
وتطلقُ الشمس على عجلٍ رصاصات النار
فتدفئ اليرقةَ المتحولةَ الى فراشةٍ راقصة
وتتعقب نجمةً، وهي تطوفُ الفضاء
وتحترق في الأعالي
ضوءاً ساطعاً عبْرَ السَّماء
وتطمرُ نفسَها في قبرِ المحيطِ الازرق
أهذه هي إرادةُ الخالق؟
إنّها ومضةُ الحياة وسُنّتُها
إنني أجيءُ من الجنوب حيث مكثتُ طويلاً
وأنت تقول: ((إنّ بذرة النار تبدو في عينيك))

معاني المفردات

تكللـــــه : تقلّده إكليلاً.
المرجان: جمع مفرده مرجانة: صغار اللؤلؤ.
شـمعدان: جمعه شماعد، وشمعدانات، منارة لحمل السراج.
زهرة الشمس: نوع من الورد يتجه نحو الشمس دائماً.
العنـــقاء: مرتفعة طويلة.
لازورد: معدن ثمين مشهور في جبال أرمينيا وفارس، وهو ألوان يتخذ للحلي.

رقصة الفالس: رقصة اوربية.
القـــــيلولة: القعود والراحة عند الظهيرة.
مفـــــــــعم: مشبع، مملوء.
العـــــــتمة: الثلث الاول من الليل.
تطـــــــمر: تطوي، تدفن.

التعليق النقدي

الشاعر جن تزو - هو وزملاؤه في المدرسة الشعرية (النجم الأزرق) يستخدمون الأسلوب الرمزي في التعبير عن رؤيتهم إلى العالم. وتعد هذه الجماعة متمردة على الأشكال التقليدية في الشعر الصيني، ذات التوظيفات الواقعية، التي شاعت بتشجيع الدولة الصينية، بعد نجاح الثورة التي قادها - ماو - في الخمسينيات.

والذي يتعمق في معاني القصيدة، يجد انهماكاً قوياً بالطبيعة، ويظهر واضحاً تأثير الأدب الرمزي (الخيالي) برؤية الشاعر, شأنه بذلك شأن الأدب الرومانسي الفرنسي، فضلاً على تمسك الشاعر الشديد بهويته الجنوبية، وايمانه بقدسية تطلعات أبناء الجنوب إلى بناء عالم افضل.

المناقشة

١- كيف يبدو العالم الموضوعي (الواقعي) في قصيدة - جن تزو - هو؟
٢- بمن تأثر الشاعر - هو - في الشعر؟
٣- كيف افتخر الشاعر بموطنه؟ أُذكر ماقاله بهذا الشأن.
٤- تأثر شعر - هو - بالشعر الرمزي الفرنسي (الرومانسي). كيف ترى ذلك؟
٥- ما الذي يدل على انهماك الشاعر في الطبيعة، وتمسكه بها؟
٦- لماذا يعد شعر جماعة (النجم الازرق) متمرداً في رؤيته على الاشكال التقليدية في الشعر الصيني.

التعبير

خرجت من دارك، واتجهت نحو الأفق في مسيرة تروّح بها عن نفسك، وراقت عينيك مظاهر طبيعية شتى. صفها.



شاعر وظبي وذئب

للشاعر قيس بن الملوح*

أبـــى الله أنْ تبـــقى لحَيّ بشَـــاشَةٌ — فصـبراً على ماشاءَهُ اللهُ لي صبرا
رأيتُ غزالاً يَرتعَي وسـطَ روضةٍ — فقــلتُ أرى ليلى تراءتْ لنا ظُهرا [1]
فيا ظبيُ كُلْ رغداً هنـيئاً ولاتخفْ — فــإنك لي جــارٌ ولاتَرَهَبِ الدَّهَرا
وعندي لكُم حِصْنٌ حصينٌ وصارمٌ — حُســـامٌ اذا أعلمتَهُ أحْسَـــنَ الهْبرا [2]
فما راعني إلا وذئــبٌ قــدِ انتحَى — فأعلقَ في أحشـائهِ النـــابَ والظِّفرا [3]
فبـوأتُ ســـهْمي في كَتوم غَمَزْتُها — فخالَطَ سهمي مُهجةَ الذئبِ والنحرا [4]
فأذهبَ غيـــظي قتلُهُ وشفى جَوىً — بقــلبيَ أنَّ الحُـــرَّ قد يُدْرِكُ الوترا

*من كتاب الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية للاستاذ الدكتور كريم الوائلي.

١- ترتعي: ترعى.

٢- حصين: بين الحصانة، الصارم والحسام: السيف القاطع، الهبر: القطع.

٣- انتحى: اخذه ناحية.

٤- فوق السهم: حركه، الكتوم: القوس.

الجوى: الحرقة، الوتر: الثأر.

التعليق النقدي

إن علاقة الناقد الأدبي أكبر من مجرد القراءة السريعة والتأثر المنفعل بالنص لأن أول ما يقوم به الناقد هو محاولته فهم النص الأدبي، وهذا يشتمل على إقامة حوار مع الدلالات اللغوية التي ينطوي عليها النص الأدبي، وإدراك دلالاتها في أصل وضعها في اللغة وفي مدى سياقها، ومن ثم وعي الجوانب الفنية والمعرفية، وإنَّ هذه المحاولة في فهم النص والسعي إلى استنطاقه، أي جعل النص يكشف عن قيمه الجمالية، أو ما يمكن أن نطلق عليه (تبادل المعاني داخل النص ذاته).

إنَّ الشاعر في الأبيات الشعرية السالفة يصف غزالاً، يرعى وسط روضة من الرياض، ويذكّره جمال الظبي بحبيبته وجمالها، ويتعهد الشاعر بسبب هذه المماثلة في الجمال مع نفسه، وللظبي أن يحميه ويدافع عنه، غير أنَّ ذئباً يغدر به، فيعلق أظفاره وأنيابه في أحشاء الظبي، ويتأثر الشاعر للظبي، يبِرّ بوعده، فيقتل الذئب ويشعر عندها بارتياح لأنَّه قد ثأر من خصمه.

وهذا هو ظاهر الأبيات، وليس هو مقصود الشاعر في الحقيقة، لأنه لا يريد تسلية المتلقي بمجرد حكاية حصلت بعض أحداثها في إحدى الرياض. إنَّ هذا النص الشعري له وجهان متجاوران، أحدهما: ظاهري أو جلي، وثانيهما: باطني أو خفي والأخير هو الذي يعنيه الشاعر، ويظهر أن التعبير بالرمز والإشارة والإيحاء يحقق للمبدع متعة، ويسعفه في التعبير عن انفعاله، كما أنه أكثر تأثيراً بالمتلقي، حيث يتعاطف مع الشاعر في النهاية ويشعر بارتياح حين يتمكن الشاعر من قتل الذئب.

ويمكننا القول إنَّ الأبيات الشعرية إنما تمثل استعارة كبرى يمنع أن يقصد منها ظاهر الأبيات قرينة (أرى ليلى تراءت لنا ظهرا) إذن هناك صورتان متفاعلتان إحداهما الظاهرة تتجلى في: الشاعر، والغزال، والذئب، والثانية خفية يمثلها: الشاعر وحبيبته ليلى، وزوجها، وفي الصورة الأولى يتبدى الشاعر وهو يتحرك حركتين. إحداهما: نحو الغزال، والثانية: نحو الذئب. وحركة الشاعر نحو الغزال إعجاب بالجمال وتعهد بالحماية، ويعرض الشاعر لتعهداته بقيم اجتماعية، كأن يجعل من الغزال جاراً له، ومن ثم يتحتم عليه حماية جاره. ويستعرض في الوقت نفسه أدواته التي يستخدمها لحماية هذا الكائن، وهي على ضربين: دفاعية: متمثلة في الحِصن الذي يمنع عن الغزال مخاطر الأعداء، وهجومية: وهي الحسام الذي يحسن القطع أو السهم الذي يحقق هدف الشاعر في إدراك الغاية بقتل الذئب، أما الحركة الثانية

وهي نحو الذئب فهي رد لحركة الذئب نحو الغزال، فلقد افتض الذئب أحشاء الظبي وافترسه، وأعلق في أحشائه أنيابه وأظافره، فما كان من الشاعر إلا أن يفي بوعده وهو إن لم يستطع أن يحقق حماية الظبي، فلقد حقق الثأر له من خصمه وعدوه ومن ثم يحقق ذلك ارتياحاً يشعر به الشاعر ويعبر عنه، وتنتقل آثاره إلى المتلقي الذي يتم من خلال ذلك تفريج انفعاله بعد شده وتوتره.

إذن فنحن إزاء حركات متعددة في النص الشعري:

- حركة الذئب نحو الغزال: (طمع وقتل وافتراس).
- حركة الذئب نحو الشاعر: (مخاتلة وغدر واستغلال الفرص).
- حركة الشاعر نحو الغزال: (إعجاب بالجمال وتعهد بالحماية).
- حركة الشاعر نحو الذئب: (الثأر وتحقيق الغاية بالقتل).

أما الغزال فإنه في حالة استسلام للشاعر الذي لم يفلح في حمايته، وإن ثار من أجله، واستسلام للذئب الذي افترسه.

ولو انتقلنا الى الجهة المقابلة، إلى الصورة الخلفية التي يقصدها الشاعر في الواقع لألفينا الشاعر يتحرك نحو حبيبته ليلى بالحماية المعنوية بالحصن الذي قد يدل على البيت الذي يريد العيش فيه وإياها، أما السيف فهو السلاح الذي يحميها به، ونلتقي أيضاً بحركة زوج ليلى، وهو الرجل الذي يخلع عليه الشاعر بعض خصائص الذئب وصفاته وأنه يتصف بالغدر فضلاً على الخصائص الحيوانية، وأنه قد افترس حبيبة الشاعر.

إنَّ تبادل المعاني في النص تتجلى في هذا النص الشعري، فالصورة الظاهرة إنما تمثل لوناً من الرمز، وهي تخلع بعض صفاتها وملامحها على الصورة الخفية، كما أنَّ الأخيرة تضفي بعض خصائصها وتلقي ظلالها على الصورة الجلية على ضوء تفاعل جدلي تتبادل فيه المعاني في النص ذاته.

ويتم تبادل المعاني من خلال أوجه المماثلة والمشابهة فالغزال كائن مقدس كان يعبد ذات يوم في الجزيرة العربية[١] وقد أضحى مثالاً أعلى للجمال، وهو يرتع وسط روضة قد تمثل مرحلة الإخصاب، أو قد تمثل الربيع، وهذا الجمال الذي يتميز به هذا الكائن المقدس الجميل يضفي بعض صفاته على ليلى، كما أنَّ ليلى تخلع بعض صفاتها على الغزال، ويتحقق الأمر نفسه بجلاء من خلال التماثل بين

---

(١) ينظر: علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ص٧٠ وما بعدها.

الذئب وزوج ليلى، وهنا يتم تبادل المعاني، إذ يخلع الذئب بعض صفاته من حيث الغدر والمخاتلة والافتراس على زوج ليلى، كما أنَّ الأخير يخلع بعض صفاته على الذئب، وان حالة الافتراس التي ينتحي فيها الذئب بالغزال، بما ينطوي عليها من قتل ودماء تماثل حالة الانتحاء زاوية ترمز إلى عملية افتراس روحي وجسدي يؤديها زوج ليلى، فلو قمنا بتبادل المعاني لقلنا إنَّ هناك فتاة ينهشها حيوان مفترس يتلذذ ويستمتع في جسد ميت. إنَّ المعاني تتبادل هنا إلى درجة يكون الذئب هو الذي تزوج ليلى وأن الإنسان المجرم هو الذي يطفئ حياة الظبي ويشوه جماله. تبادل في المواقع وتبادل في الدلالات.

إنَّ الصورة الجلية تمثل ترميزاً لحالة تماثلها في الواقع، أو أنَّ الشاعر (يواجه تشكيل الواقع بتشكيل يوازيه رمزياً)[1] وبهذا أضفى الشاعر على الصورة الواقعية ظلالاً من الترميز، وهي جزء من الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر، وإذا كنا نجد تماثلاً بين الصورتين الخلفية والجلية فإننا نفتقر إلى تحقيق هذا التماثل في الواقع في الأجزاء الأخيرة من النص الشعري، فإن ثأر الشاعر لم يتحقق في الواقع وإن الانتقام من زوج ليلى لم يتم.

وهذه الحالة لها مايبررها نفسياً، لأن الشاعر يحاول إفراغ انفعاله وتحقيق بعض آماله وطموحاته من خلال الحلم باليقظة، وهو أحد ألوان التعويض، إنَّ الشاعر يحقق بالشعر ما لم يستطع تحقيقه في الواقع، فهو إزاء واقع اجتماعي، سلب منه حبيبته ودفعه إلى توتر شديد، وكان لابد من إزالة غيظه بقتل الرمز، وإنَّ تحقيق قتل الرمز كأنه يحقق على صعيد الحلم قتل المرموز، أو هذا ما يحلم به الشاعر أن الثأر بين الشاعر وزوج ليلى ثم تحقيقه بقتـل مماثل الزوج وهو الذئب، ومن هنا ندرك لماذا أذهب قتل الذئب غيظ الشاعر وكيف شعر بالارتياح في قوله:

وأَذهَـبَ غَيـظي قَتلُـه وَشَـفَى جَـوى
بقلــبي أنَّ الحـُـرَّ قد يُــدركُ الـوتِرا

ونخلص من هذا كله إلى أنَّ النص الشعري بخاصيته اللغوية ذات الطوابع التركيبية إنما تنبئ في الوقت نفسه عن أبعاد ذاتية انفعالية، لأن التعبير يخرج بالانفعال والتجربة الشعورية من حالة التفكك والتشتت إلى الاتساق والنظام، ويشمل النص على دلالات رمزية معينة، وبمعنى آخر (أن طبيعة الفن التركيبية ضرورة

---

[1] عبد المنعم تليمة، مداخل إلى علم الجمال الأدبي، ص١١٠.

نفسية من حيث إنَّ الفن يُخرج اللاشعور المتناقض المفكك إلى الشعور المنظم الموحد) [١].

وإذا كانت التجربة الشعورية بما يرافقها من انفعال بالواقع تحاول التعبير بالتخيل عن معاناة الشاعر، وأن الصورة المتخلية قد تحكي واقعاً له دلالة رمزية كائنة في النفس فإن التعبير بالترميز إنما ينفس عن الانفعال ويزيل من توتر المبدع.

إنَّ القصيدة كلها هنا قد تحولت إلى صورة واحدة يمثل جانباً منها رمزاً، ويمثل الجانب الآخر مرموزاً، ويتبادل كل منهما مع الآخر المواقع والدلالات، وبذا تأخذ الصورة الأدبية شكلاً تتداخل فيه أبعاد ذاتية وتعبيرية متعددة، ويتقاطع فيه الموقف النفسي للأدب مع الواقع بكل ما فيه من ضغوط ومعاناة.

المناقشة

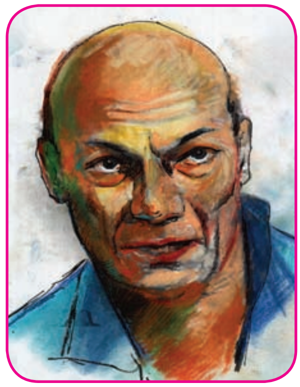
١. من هو مجنون ليلى؟
٢.قيس بن الملوح أحب ابنة عمه – ليلى- إلى درجة الهيام، لكنه لم يفز بها. فمن قصد بشعره الرمزي حين استعمل الكلمات (الغزال، الذئب، الحصن).؟
٣.بماذا تذرع قيس عندما حُرّم من زواجه بليلى؟
٤.هل تشفق على الشاعر وتواسيه، أم أنك تلومه؟

التعبير

أُكتب قصيدة حفظتها بشأن الحب العذري حلّلها وانقدها.

---

[١] مصطفى ناصف، الصورة الادبية، ص١٣.



أنـــا والمـــدينة [١]

أحمد عبد المعطي حجازي*

هذا أنا
وهذه مدينتي
عند انتصافِ الليلْ
رحابةُ الميدانِ، والجدرانُ تلّ
تَبينُ ثم تختفي وراءَ تلّ
ورَيْقةٌ في الريح دارتْ، ثم حطَّتْ، ثم ضاعتْ في الدُّروبْ
ظلٌّ يذوبْ
يَمتدُّ ظلّ
وعينُ مِصباح فُضولي مُملْ
دُستُ على شُعاعِهِ لمّا مررتْ
وجاشَ وِجداني بمقطع حزين
بدأتُهُ، ثم سكتْ
من أنتَ يا... من أنتْ؟
الحارسُ الغبيُّ لايعي حكايتي
لقد طُرِدتُ اليوم
من غرفتي
وصِرتُ ضائِعاً بدون اسم
هذا أنا
وهذه مدينتي!

---

[١] ١٩٥٧م .

* شاعر مصري ولد عام ١٩٣٥م بمدينة تلا محافظة المنوفية. حصل على شهادة دبلوم دار المعلمين عام ١٩٥٥ ثم حصل على شهادة ليسانس في الاجتماع من جامعة السوربِون في باريس عام ١٩٧٨م، وشهادة الدراسات المعمقة في الأدب العربي سنة ١٩٧٩م. عمل استاذاً للأدب العربي في جامعات فرنسا. وهو عضو المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ومدير مجلة – صباح الخير- من دواوينه: (مدينة بلا قلب)، و(ديوان بحر الحياة)، ومن مؤلفاته (حديث الثلاثاء) و (الشعر رفيقي) و(احفاد شوقي) و (محمد وهؤلاء) وترجمت قصائده إلى لغات عديدة.

التعليق النقدي

حين غادر الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي قريته إلى مدينة القاهرة كان لايملك إلا موهبته الشعرية، ويحمل معه مشاعره الفطرية الخالية من التعقيد. ولقد واجهته بذهابه الى المدينة قسوتها وتعقيدها، ففي قصيدته "الطريق إلى السيدة" يلاحظ الناس مسرعين في سيرهم، والزحام يخيم المدينة...

ويفزع الشاعر كما يفزع كل غريب من عربات الطريق.. كالترام.

والناس يمضون سراعا
لايحفلون
أشباحهم تمضي تباعا
لاينظرون
حتى إذا مر الترام
بين الزحام
لايفزعون
لكنني أخشى الترام
كل غريب هنا يخشى الترام

وفي قصيدته «أنا .. والمدينة» يحس الشاعر بالغربة والضياع، إذ يختفي الإنسان أو يكاد وسط التلال المتتابعة من الميادين والساحات والجدران...

رحابة الميدان والجدران تل
تبين ثم تختفي وراء تل...

ويتحول الشاعر إلى ورقة تعبث بها الريح ... تدور ...، ثم تحط، ثم تضيع في الدروب. وتلعب الاضواء دورها في ظلال الاجسام... تمتد الظلال وتذوب..

وريقة في الريح دارت، ثم حطت، ثم ضاعت في الدروب ان الغرفة التي طرد منها الشاعر قد لاتكون غرفة حقيقية اذ قد تكون رمزية تدل على الضياع والامن المفقود وكأن الشاعر يعقد مقارنة بين عالمي القرية والمدينة فالإنسان في القرية يشعر بالأمان والاستقرار يعرف اسمه وواقعه ويعرف الناس والأرض والطبيعة.. ولكنه في المدينة ضائع من دون اسم ... اذ تبتلعه المدينة كوحش كاسر وتحوله الى انسان تائه، وكان الشاعر يكرر هنا مقولة الشاعر اليوت:

المدينة وحش ضرير أو هوة للموت تبتلع من فيها وتحيل الفرد إلى قزم...

المناقشة

- قارن بين مدينتك ومدينة الشاعر، وهل تشعر بمشاعر مماثلة لمشاعره أم مختلفة عنه؟
- هل تعتقد أنَّ القرية عالم مثالي يتسم بالنقاء والصفاء و أنَّ المدينة عالم الشر ليس فيها إلا الدمار والقتل والضياع؟

التعبير

أُكتب نصاً ادبياً تعبر فيه عن مشاعرك إزاء قريتك أو مدينتك.





ليالـيَّ الظّاعنين

من قصيدة [١] لأبي الطيب المتنبي [٢]

ليالـيَّ بَعْدَ الظّاعنينَ شُكُولُ   طِوالَ وليلُ العاشِقينَ طويلُ[٣]

---

[١] بدأها بالتشبيب والحنين، وتخلص الى مدح سيف الدولة، ثم وصف حروبه مع الروم، وانتقل منه الى الفخر بنفسه ممزوجاً ببعض معاني الحكمة على طريقته المشهورة. وقد اخترنا من القصيدة هنا طرفيها.

[٢] هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندي الكوفي. ولد سنة ٣٠٣ هـ في الكوفة، من اصل عربي قحطاني خالص النسب أماً وأباً. رحل الى بلاد الشام فلقن الفصاحة من أعراب باديتها، ونزل في بني كلب فقيل انه ادعى النبوة فيهم وهو فتى، فأخذ يضرب في بلاد الشام ويمدح من يؤمل نداه. الى ان عرف أمير حلب سيف الدولة منزلته، فقربه واجازه الجوائز السنية على مدائحه له، ثم فارقه بعد زمن طويل الى مصر، وكان يؤمل ان يقلده كافور الاخشيدي إمارة أو ولاية فلما خيب فأله خرج الى العراق مغاضباً وهجاه هجاء لاذعاً، وأبى ان يمدح احداً في بغداد . ثم رحل الى فارس، ولقى الحضوة عند عضد الدولة ابن بويه ووزيره ابن العميد، وعاد الى العراق ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والفضة والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات، فلما اجتاز بغداد عند منصرفه الى الكوفة خرج عليه عند دير العاقول فاتك الاسدي في عشرين رجلاً من بني عمه فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل هو وابنه محمد وغلامه سنة ٣٥٤هـ.

وهو من اعاظم شعراء العرب، عبقري الخيال، عميق التصور، فياض العاطفة، ولشعره سلطان قوي على النفوس، وفق فيه بين الشعر والفلسفة، وبين الخيال والحقيقة، فابدع في التعبير عن غرائز الناس وطبائع الاجتماع واغراض الحياة . واجمل شعره الوصف والحكمة والحماسة.

[٣] الظاعن: المرتحل. وشكول: جمع شكل، وشكل الشيء = مثله، وجمع القلة اشكال، واتى هنا بجمع الكثرة.

لانه ابلغ في شكوى الحال. وليل العاشقين طويل: بما يقاسوه من السهر وما يتجدد لهم فيه من الفكر. وقد طالت ليالي الشاعر وتشابهت، لارتحال الحبيب عنه وامتناع النوم منه.

يُبِيـــن لـيَ الــــبدرَ الــــذي لا أُرِيـدُهُ ... ويُخْفِــينَ بــــدراً ما إليه ســـبيلُ [1]

وما عِشْـــتُ من بَعــْدِ الأحبةِ سَـلوةً ... ولكنـــني للنــــائباتِ حَمُــــــولُ[2]

وإنَّ رحيـــــلاً واحـــداً حالَ بينــــنا ... وفي الموتِ مِنْ بَعْدِ الرحيلِ رَحـيلُ[3]

إذا كـــان شَـــمُّ الرَّوحِ أدنى إليكُــم ... فلا بَرحَتْــــني رَوْضَــــةٌ وقَبُـولُ[4]

---

[1] يبن: يظهرن. يقول: إن الليالي تطلع له بدر السماء الذي لايريده، ويخفين البدر الذي لايجد اليه سبيلاً وهو الحبيب الظاعن.

[2] السلوة: النسيان وطيب النفس عن الشيء، والنائبات: النوازل والمصائب، والمعنى: ليس بقائي بعدهم لسلوة عنهم، ولكنني امرؤ حمول للمصائب، صبور على الخطوب الموجعات.

[3] المعنى ان فراق الاحباب برحيلهم قد حال بينه وبينهم فأيأسه من قربهم، وهذا الرحيل قد يسبب له الرحيل الابدي بالموت كمداً، لانه لايقوى على ان يعيش بعدهم.

[4] الروح: نسيم الريح. فلا برحتني: فلا فارقتني. والقبول: ريح الصبا، لأنها تقابل الدبور. وقد اختلف شراح شعر المتنبي في تفسير هذا البيت، وأقربها إلى مقصده قول أحدهم: انكم إذا بعدتم، ولا أصِلُ إليكم إلّا بشم الرَّوح الذي يشبه رائحة نسيمكم، فلا فارقتني روضة وقبول يأتيني برائحتكم. وقد دعا لنفسه بالحياة، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أحبته، لأن قبله ((وفي الموت من بعد الرحيل رحيل)).

وما شَـــرَقي بالماء إلا تَــذَكُّراً — لمـــاءٍ به أَهْلُ الحبـيب نُزُولُ [1]

يُحَـــرِّمُهُ لمـــعُ الأسـنةِ فوقَهُ — فليـسَ لِظَـمْآنٍ إليهِ وصُولُ [2]

أما في النُّجُوم السَّـائراتِ وغيرها — لِعَيْنـي على ضَوْءِ الصَّباح دَلِيلُ [3]

ألم يَرَ هــذا الليلُ عينيكِ رُؤيَـتي — فَيظْهَرَ فيـه رِقَّـةٌ ونُحـُولُ [4]

لَقِيتُ بـدربِ القُلَّةِ الفَجْرَ لَقـيةً — شَـفَتْ كمـدِي والليلُ فيهِ قَتيلُ [5]

---

[1] شرق الماء: غص به. والمعنى: أن تذكري الماء الذي نزل به اهل الحبيب الراحلون به يغصني بالماء كلما شربته أسفاً على رحيله، فلا أسيغه.

[2] الأسنة: جمع سنان، وهو حديدة الرمح. يصف موضع من يحبه من العز والمنعة، فيقول: يحرم هذا الماء الذي يرده لمع اسنة قومه الحلول به واشتداد شوكتهم، فليس لضمآن وصول اليه، ولا لوارد طمع فيه. ويشير بهذا الى ان محبوبه ممنوع منه، فلا يقدر على زيارته.

[3] الدليل: مايستدل به. والدليل: الدال. المعنى انه استطال ليله فقال مشتكياً سهره وكمده: اما في النجوم وغيرها مما يعرف به اوقات الليل دليل يدلني على ضوء الصباح.

[4] يخاطب حبيبته فيقول: ألم ير هذا الليل الطويل عينيك كما رايتهما، ويفتنه ما فتنني من سحرهما: فيقل منه ماكثر، ويقصر منه ماطال، ويرق لمن سحرتاه ويلقى من الضعف والنحول ماألقاه فينجلي عنّي.

[5] درب القلة: موضع بلاد الروم. والكمد: الحزن. قال ابو الفتح ابن جني:سألته (أي المتنبي) عن معناه، فقال: وافينا (القلة) وقت السحر فكأني لقيت بها الفجر، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم الى العصر اربعين ميلاً، وشننا الغارات، وغنمنا، وشفيت كمدي لانحسار الليل عني والليل قتيل في ذلك الموضع، فكان النهار لما اشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به.

ويـــوماً كأَنَّ الحُســـــنَ فيه علامةٌ بَعَثْتِ بها والشّمسُ منكِ رسولُ [(١)]
أنا السّـــابقُ الهادي الى ما أقــُولُهُ إذِ القَــوْلُ قَبْلَ القــائلينَ مَقُولُ [(٢)]
ومـــا لِكلامِ النـــاسِ فيما يُرِيبُـني أُصــُولٌ ولا لِلقَـــائِلِيهِ أُصُولُ [(٣)]
أُعادَى على ما يُـوجِبُ الحُبّ للفتى وأهـــدَأُ والأفكـــارُ في تَجُولُ
ســـوَى وَجَعِ الحُسّـــادِ داوِ فإنَّهُ إذا حَـــلَّ في قلبٍ فليـس يَحُولُ
ولا تطمـــعَنْ من حاسـدٍ في مودةٍ وإنْ كنـــتَ تُبـديها لَهُ وتُنـيلُ
وإنّا لنـــلقَى الحـــادثاتِ بأنفُـــسٍ كثـــيرُ الـــرزايا عِنـدَهُنَّ قليلُ
يَهُـــونُ علينـــا أن تُصابَ جُسُومُنا وتَسـْلَمُ أعراضٌ لنا وعُـــقُولُ [(٤)]

---

(١) يوماً: نصبه عطفاً على معمول ((لقيت)) في البيت السابق. يخاطب محبوبته ويقول: لقيت بدرب القلة يوماً على هذه الليلة تناهى حسنه حتى كأنه علامة توجهينها، وكأن الشمس فيه رسول منك. وقال ابو الفتح: لما ثار الغبار ستر الشمس ، فكأنها رسول من محبوبته مستخفٍ.

(٢) يصف شعره بأنه مخترع لم يسبقه اليه سابق لأنه لايهتدي اليه بمن سبقه بعمره، وفاته بتقدم عصره، وأنَّ شعر غيره من الشعراء – على حد ادعائه – لايخرج عن حدود ماقيل قبله.

(٣) يريبني: يقلقني ويزعجني. يقول وما لكلام حاسدي فيما استريبه منهم ويتصل بي عنهم اصول ثابتة في الصدق، ولا للقائلين اصول ثابتة في الفضل، فسقوطهم في أقوالهم كسقوطهم في أحوالهم.

(٤) الأعراض: جمع عرض، جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه. يقول: علينا أن تصاب جسومنا في الحرب، وأن تتعرض للجرح والقتل إذا كانت اعراضنا وافرة، وعقولنا سالمة.

المناقشة

١- ما أهم الأغراض التي تناولها الشاعر المتنبي في هذه القصيدة؟
٢- في هذه القصيدة اشارات إلى أنّ الشاعر أبا الطيب المتنبي وفق بين الشعر والفلسفة وبين الخيال والحقيقة. كيف كان ذلك؟
٣- ما البيت الذي يظهر فيه الشاعر أنّه يتحمل المصائب ويصبر على الويلات؟
٤- مالذي يعنيه المتنبي بقوله:

أنا السّابق الهادي إلى ما أقوله   إذ القــول قبل القـــائلين مقولُ

التعبير

انثر قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي   وأســـمعت كلماتي من به صَمَمُ



الشـــعر الألمـــاني

أواسط القرن العشرين*

الظّاهِرَةُ التي تَلْفُتُ النَّظَرَ في الأدبِ الألماني بعدَ عام ١٩٤٥م، هي أَنَّ الأدبَ المعاديَ للفاشية أصبحَ تياراً عاماً في النِّتاجِ الأدبيّ حتى أوائل الستّينات.

وَقد اتَّسم النتاجُ الأدبيّ المحصورُ بينَ عامي (١٩٤٥ - ١٩٥٦م) في الجزء الشرقي من ألمانيا بطوابعَ عدة: معاداتُهُ للفاشية أولاً، وظهور الصبغة الديمقراطية على تكوينهِ ثانياً، ثُمَّ احتضانه للعواطفِ الإنسانية الخيِّرة في كُلِّ أنماطهِ الأدبيّة ثالثاً.

ولقد اقتضتْ هذهِ الأفكارُ شكلاً أدبياً خاصاً قَدَّرها الظَّرفُ التأريخيُّ القائمُ (بعد الحرب العالمية الثانية)، وعن طريق هذا الشّكل تمكَّن الأديبُ الألمانيُّ أن يُقدّم لشعبهِ إجاباتٍ فنيةً، وحلولاً لمختلَفِ المشكلات التي يُعانيها الفرد العادي كثيراً. فمثلاً عكسَ الشّاعر(يوهانس.ر. بشر) توقعاته للمستقبل وشخّص الخطوطَ الرئيسةَ لحاجَةِ الشاعرِ الوطنية إلى إدراكِ روحِ الإنسانية...

وما يجبُ أن يكونَ عليهِ النِتاجُ الأدبيّ، فهي ليست عاطفةً مُنفعلةً تتوَهّجُ سريعاً ثم تخبو، وإنما هي فكرٌ قابلٌ للمناقشة.

إنَّ أشعارَ – بشر- الجديدة، تَنِمُّ عن إدراكِ الشاعرِ الحزينِ لمأساةِ وطنهِ المانيا، تَمثلت في المقطع التالي من قصيدة له بِعُنوان (العودة إلى الوطن) من مجموعتِهِ الشعرية الموسومَة- مختارات شعرية من زمن المطاردة:

---

* الموسوعة الصغيرة ٧٦/ تيارات حديثة في الأدب الألماني/ وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠/ بتصرف.

[١] د. مصطفى عبد الحميد/ من مواليد البصرة ١٩٢٨م ،تخرج من دار المعلمين العالية ١٩٥٥م، حصل على الدكتوراه من جامعة لايبزك ١٩٦٨م في اطروحته عن الجاحظ.

حانَت السّاعة، وأنا أنتظرُ أنْ أمنــحَ المزيد
في يوم صَيْفي وأنا في طريق عَوْدتي إلى الوطن
ولو أنيَّ سأجِدُ أرضاً حُطاماً
بالتأكيد أنتِ هي: يا بلادي الأُم ألمانيا
وجدتُكِ هي بلادي ألمانيا الأرض الأسطورية
لقد وجدتك مُجْهدةً ومن غيرِ طُمأنينة
إنّك هي فِعلاً وطني وأُمي.

عاشَ الشّاعر (بشر) تجربةَ الحنين إلى وطنه الجميل. حنينٍ ممزوج بتمنيات وطنية جادة، إنه يحنُّ إلى وطنِ حُرٍّ لم تُفْسِدهُ شُرورُ الدكتاتوريةِ الفاشية...

ومع انّ قصائدَهُ غنائية، إلا أنها كانت تَخْرُجُ عن النِّطاقِ الذاتي لتمتزِجَ بظروف المانيا وشعبها، ففي مقاطعَ شعريةٍ كثيرة ومُتفرقة، ندّدَ بعَوزِ شعبهِ وفاقتِهِ ورسمَ حُزنَهُ العميقَ من اجل وطنه المُدمَّر وشَعبِهِ المُمَزَّق، وهو في الوقتِ نفسِهِ غنّى متفائلاً بِحُبِّ المانيا، والأملِ والحلمِ بالغدِ القريب المشرقِ وهذا ما نلاحظه في قصيدةٍ يخاطب بها شعبَهُ:

آه ! يا شعبي المتلَفِّع بالظّلام اتّحدْ
في عَذابك أعمق المكابدة
أراكَ مُهْمَلاً في ثيابِ المُسْتَجدين
آه ! ياشعبي المتلفع بالظّلام
ابق نادماً

والشاعر لا يختفي وراء النوح والشكوى، ولكنه يضع المطالبة فوق كل شيء:

إيه يا ألمانيا حرّري نفسَك من اللعنةِ الالمانية
كي أَقْدِرَ أنْ أُباركك
ومن أجل أن تكوني مباركةً

فَشِعْر الرّثاء عِند – بشَر- يأخذ دوراً جَمالياً. فمن دَوران الأسى والحُزْن في القصيدة ينمو شعورٌ وطنيٌّ إنساني يُبَشّر بحياةٍ جَديدةٍ هو الرّدُّ الإيجابي فِعلاً للحياة على ما يَعوقُها من أفكار مُتشائمةٍ سَوداءَ، نرى ذلك في قصيدته – أناشيد الربيع- التي يبدو فيها مُتفائلاً:

الطُّيور تُغني، وكأنها تغني منذُ الأزَل
لقد ذهبَ الشتاءُ
ومع أنَّ الحُطام مُلْقى على ناصيةِ الشّارع
وثلج الشتاء الرّماديّ الأخير
غير أنّ العالمَ سيكونُ وشيكاً أرضاً مُزْهرة
وسنحِسُّ بالحيويّة، لأنّ الدِّفءَ يكتنفنا
وسنَصْمُدُ بحرارة.

ومن الأناشيد الوطنية التي تَغنّى بها – بِشَر- نقرأ له المقاطع الآتية:
وطني..... يا شَجَني
يا أرضاً في سُطوع الفجر
أنتِ السّماء...... ذاتُ اللّون الأزرق
أنتِ ياسَعادتي
عندما كنتُ مَنفيّاً
كان لديّ ما أُثني به عليكِ
نشيداً أقدّمه ُإليكِ
يكون عن اتحادِكِ
ويكون مُكرّساً لكِ
لِيُشاركِكِ البُكاءَ

وفي الطرف الآخر انبرى الشاعرُ المبدعُ (برتولت برشت) بشعره الغنائي، فهو الى جانب قصيدته – نشيد العمران -١٩٤٧م- كان لديه طرازٌ من الشعر القصصي سَخِر من القوة التي كانت متسلّطة أوْدَتْ بالشعبِ الألماني إلى الخرابِ والدَّمارِ والتمزّقِ... تبدأ بالحديث عن طبيعةِ المانيا في الربيع لا ينساها الذي عايَشها مَرّة.

أوْشَكَ الرّبيع على الظُّهور بالأرض الألمانية
وقد مَرَّ بالرّماد وحُطام جُدران المنازِل
مُعْلِناً عن نفسِهِ في أولِ خُضرةٍ لِشجَرةِ البتولا
(شجرة العفص)
كعينة لذيذة وشُجاعة

وكان الشاعر - بريشت - يرسُم الأوضاع المدانة رسماً شعرياً مُقارباً للمشهد المسرحي الكوميدي. والى جانب بِشَر، و- بريشت - كانت مجموعة تسير في الخط نفسه وتستقي بنفس مادة أفكارِ هذيْن الشاعرين من هؤلاء - فاينرت وفوربنرك وكورت بارتيل.

كانِ كورت بارتل[١] - يغني أناشيد غَناها في زمن الفاشية، وسماه الأدباء (كوبا) تمييزاً له من الأديب الالماني - ماكس بارتل - أنشد – كوبا- للجديد الذي ينمو من داخل الخراب المترامي الانتشار، وكانت أولى قصائدِهِ بعد عودتهِ إلى بلده عام ١٩٤٥م - نشيد الفرح -

عندما تكون الفاقةُ مألوفةً
والعوز يحملق من خلالها
تَعلّم ايّها الفلاح
كيفَ يحكمُ الإنسانُ ارضَه
ايّها الفلاح

[١] ولد كورت بارتل عام ١٩١٤م، اشتغل بالتجارة والزخرفة. هاجر إلى جيكو سلوفاكيا هرباً من الفاشيين وكتب أول أشعاره عام ١٩٣٣م وعند استيلاء هتلر على جيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨م فرّ إلى – كوبا- إلى انكلترا واشتغل جنائياً ثم عامل بناء في لندن حيث كتب مجموعته الشعرية (اشعار من الإنسان) ثم عاد إلى المانيا عام ١٩٤٦م وعمل في إحدى دور النشر.

أسرِج فرَسك
ما زلتَ دائماً ماضياً
للحراثَةِ ببقرتِك العجوز
الأرض ملكُك بالتأكيد
والبقرة لك أيضاً
ثوْراً يكون أو حصاناً
فإنها ستنقلب إلى محراثٍ آليٍّ
وبعدها ستكونُ أنت السيّد في الأرض
أيها الفلاحُ كُنْ سيّد الأرض

لقد قدم – كوبا- نماذجَ شعرية حيّة واعية في تأريخ ألمانيا الوطني مرتبطة بأرض بلادهِ مليئةً بالحماسِ والحيويةِ تُـمجِّدُ كُلّ عملٍ مُخلصٍ من أجل إعادةِ بنائها وازدهارها. صَحيحٌ أنّ بَطَلَ قصائد – كوبا- ألمانيا بأسرِها، لكنها تُـمثّل جميعَ الإنسانيةِ في بعضِ الظروفِ المتشابهةِ في الحاضرِ والماضي أو المستقبل، وتُـمثّل النزعاتِ الخيّرة البناءةَ، نرى ذلك في شعرهِ الغنائي الآتي:

إيه أيّتها الإنسانية... اعيني
إذ سيبقى سيدك صامتا
أفْصحي
فحول المانيا يدور الغول العَجوزُ
ويتنفس العالمُ
أنفاساً واهنةً
انْظر إلى هذا الشّعب
ما زال يتنفّس ويُطاعن
من اجْل وجودِه
بالمرافق المدبّبة
اُنظرْ الى هذا الشّعب
كيفَ يُزيلُ عنه الطّلاء

ويجرّدُ المجد والفخار
ويطهّر الوطنَ من الحُثالة
ويكافحُ بحقدٍ دَفين
من اجلِ أن يحتلّ له مكاناً
في عَربةِ قطارِ الشّارع المزدحمة
وهو الشعب نفسه
هو نفسه قبالة وارشو
وهو نفسه قبالة باريس
إنه هو ...... هو الشعب
بدون حمّالة سلاح

المناقشة

١- ما الطابع الذي اتسم به النتاج الأدبي الألماني في الفترة من عام ١٩٤٥م – ١٩٥٦م؟
٢- ما المأساة التي ادركها الشاعر (بِشَر) التي حلت بوطنه المانيا؟
٣- هل التزم الشاعر – بشر – جانب الرثاء والشكوى فقط؟ أوضح ذلك.
٤- بماذا تميز الشاعر المبدع – برشت – من غيره في الأسلوب الشعري؟
٥- من هو الشاعر – كورث بارتل – ولِمَ سماه الأدباء – كوبا -؟
٦- إذا قرأت قصيدة – كوبا – بعنوان (نشيد الفلاح) فماذا تستنتج من المعاني العامة؟
٧- هل غنى الشاعر – كوبا – لبلاده المانيا فقط، أم انّ شعره كان موجها للإنسانية؟ اِضرب مثلاً.

المحتويات

المحتويات